الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية ادرار

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

المظاهر الاجتماعية في اللاتبة الأولى لـ بمحمد ديب

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبتين: إشراف:

- بربوشي مريم
- مسعودي سناء

-كروم عبد الله

محمد الامين خلادي	جامعة أدرار	رئيسا
كروم عبد الله	جامعة أدرار	مشرفا
جعفري	جامعة أدرار	مناقشا

السنة الجامعية:

1441 /1442هـ- 2020/2021م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République algérienne populaire et démocratique

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

UNIVERSITE AHMED DRAYA - ADRAR

BIBLIOTHÈQUE CENTRALE

Service de recherche bibliographique

N°.....B.C/S.R.B//U.A/2021

جامعة احمد دراية - ادرار

المكتبـــة المركـــزية

مصلحة البحث الببليوغرافي

الرقم.....م.م/م.ب.ب /ج.أ/2021

شهادة الترخيص بالإيداع

انا الأستاذ(ة): د. عبد الله كروم

المشرف مذكرة الماستر.

الموسومة بـــ : بعنوان مدى جودة البنية الأولى لمحمد ديب

من إنجاز الطالب(ة): بوعوشتي مريم مسعودي سمار

و الطالب(ة): مسعودي سمار

كلية : كلية الآداب واللغات

القسم : الأدب العربي

التخصص: أدب جزائري

تاريخ تقييم / مناقشة: 2021/06/06

أشهد ان الطلبة قد قاموا بالتعديلات والتصحيحات المطلوبة من طرف لجنة التقييم / المناقشة، وان المطابقة بين النسخة الورقية والإلكترونية استوفت جميع شروطها.

وبإمكانهم إيداع النسخ الورقية (02) والاليكترونية (PDF).

- امضاء المشرف:

د. عبد الله كروم

ادرار في 2021/06/27

مساعد رئيس القسم:

د. خليفي عبد الحق
مكلف بتسيير شؤون قسم
اللغة والأدب العربي

ملاحظة :لاتقبل أي شهادة بدون التوقيع والمصادقة.

إهداء

الحمد لله الذي أعاننا على نهاية هذا الجهد المتواضع فأهديه إلى:

القلب الذي يعطي بسخاء فلولاكما لما كنا ولا صرنا

أمي (**خيرة بولال**) وأبي (**محمد**)

أطال الله عمركما ولكما منا كل الدعاء

إلى من ترعرعت بينهم

إخوتي وإخواني وزوجاتهم

إلى **زوجي** وابنتي **إيلاف منصوري** أطال الله عمرهما

دراسة أصدقائي فأحفظهم يارب

إلى من علمونا حروفاً لا تقدر بثمن أساتذتنا الكرام

إلى أستاذتنا الذي أنارنا بوقته على الإشراف على بحثنا **عبد الله كروم**

إلى زميلتي وصديقتي التي تمت معي هذا العمل

بربوشي مريم

إلى كل العائلة الكريمة **مسعودي**

وكل الشكر والامتنان لمن قدم لنا يد العون ولو كان بسيطاً.

سناء مسعودي

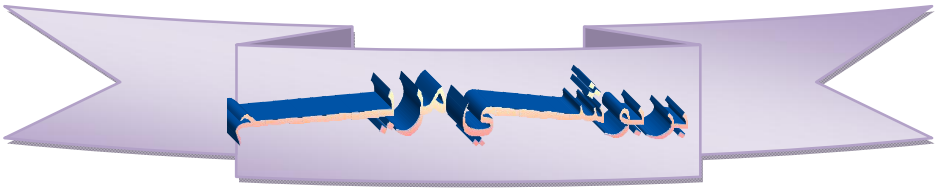

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا:

إلى الشمعة التي تحترق لتضيء حياتي وإلى من باع شبابه ليبني لي مستقبلي

أمي وأبي

حفظهما الله ورعاهما

إلى من قاسموني طفولتي وشبابي

أخي وأخواتي

إلى زوجي العزيز

إلى التي رافقتني لأشق دروب النجاح مسعودي سناء

إلى أستاذنا المشرف عبد الله كروم

إلى كل العائلة الكريمة والأصدقاء

شكر خاص

قال رسول الله صل الله عليه وسلم: " من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

وبهذا نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف "**عبد الله كروم**"

حفظه الله ورعاه وجزاه عنا كل خير

وإلى كل من قدم لنا توجيهات قيمة على إنجاز هذا البحث المتواضع خاصة

أساتذة قسم الأدب العربي

ونتقدم بالشكر لكل من ساعدنا في إتمام هذا العمل جزاهم الله عنا كل خير

والله ولي التوفيق

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجمال وجهك وعظيم سلطانك، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين وبعد:

الأدب الجزائري بمختلف أجناسه عبر عن الواقع المعيش إبان فترة الاحتلال، حيث كان الأديب يعايش الثورة وينقل إلينا تلك الظروف التي عايشها الشعب الجزائري، إذ صوَّر لنا تلك المحطات التاريخية من كفاح ومعاناة واستغلال. وبالرغم من كل الظروف السياسية والتاريخية والاجتماعية السائدة أنذاك، نجد أنَّ الأديب لم يقف مكتوف الأيدي، بل اتخذ قلمه دفاعاً عن أمته وقضاياها، فوجد الرواية متنفساً لهمومه وواقعه.

صورت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية الأحداث التي وقعت للمجتمع الجزائري، فاحتضنته وصورته تصويراً فوتوغرافياً والتعبير عليه بمصداقية وموضوعية، ومن بين هؤلاء الأدباء نجد **محمد ديب** الذي ترك بصمة كبيرة في الأدب الجزائري خاصة من ناحية ثلاثيته الأولى، وهذا الأخير كان موضوع بحثنا ومصب اهتمامنا حول " **المظاهر الاجتماعية في الثلاثية الأولى لمحمد ديب**". ولمعالجة هذا الموضوع طرحنا مجموعة من الأسئلة لمعرفة أهم جوانبه:

- **هل عبر النص الروائي الجزائري المكتوب بالفرنسية عن الواقع الاجتماعي في موضوعاته؟.**
- **إلى أي مدى استطاع محمد ديب رسم صورة الجزائر والأوضاع السائدة فيها للعالم؟.**

ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، أولاً أسباب ذاتية تتمثل في: الرغبة العلمية، الفضول العلمي في الإطلاع على الأدباء الجزائريين و إنتاجاتهم الأدبية، ثانياً، أسباب موضوعية تتمثل في دراسة أهم المظاهر الاجتماعية التي تطرق إليها الأديب "**محمد ديب**".

وبما أن الإبداع الجزائري يزخر بمواهب فذة جعلته يتنوع ويختلف حتى الرواية لاقت حظها من هذا النجاح، وهذا ما أدى بنا إلى أن نلتف حولها لمعرفة ما كتبه أدباؤنا عن وطنهم ومدى تعلقهم بوطنهم وهموم شعبهم.

من بين الدراسات السابقة التي أولت اهتماماً بهذا الموضوع نجد : "**فكرة الانتماء في الخطاب الروائي الجزائري ثلاثية محمد ديب أنموذجاً**".

ومن المصادر والمراجع المعتمد عليها خلال البحث: **ثلاثية محمد ديب الدار الكبيرة، الحريق، النول، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي لأحمد منور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية لأم الخير جبور.**

استندنا في هذه الدراسة على منهجين، المنهج الوصفي بآلية التحليل، وذلك بتحليل أهم المظاهر الاجتماعية التي جاءت في الرواية، أما المنهج التاريخي قد استعنا به في تتبع المشوار الأدبي لمحمد ديب.

واجهتنا بعض الصعوبات التي لا تخلو من أي بحث علمي تشعب المادة المعرفية، تشابه معظم الدراسات التي عالجت هذا الموضوع، ندرة بعض المراجع وصعوبة الحصول عليها خاصة في ظل الوقت الراهن "أزمة كورونا"، بالرغم من وجودها إلا أننا بفضل الله وبإعانة الأساتذة تجاوزنا بعضها والحمد لله.

سطرنا خطة، أفردنا فيها مدخلا، وفصل أول وثان وخاتمة، تطرقنا في المدخل إلى الرواية العربية، وكذلك إلى الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.

وقفنا في الفصل الأول، على الجانب النظري حيث تطرقنا فيه إلى التعريف بالرواية بمفهومها اللغوي والاصطلاحي، إضافة إلى التعريف بالرواية المكتوبة بالفرنسية وذكر تحولاتها وأهم مراحلها.

أما في الفصل الثاني فتطرقنا إلى تقديم نبذة عن حياة محمد ديب وذكر مسار إبداعه، وتطرقنا أيضاً إلى ذكر أهم الظواهر الاجتماعية التي عالجت ثلاثية محمد ديب، التي اختار فيها الخبز والعمل والإنسان ليعبر عن حياة يومية عاشها الشعب الجزائري، وجسد ذلك في كل من رواية الدار الكبيرة، الحريق، النول، فهي تجسيد لبيئة وبداية وعي قومي لمستقبل أفضل.

وأخيراً انتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذنا الفاضل " **عبد الله كروم**" الذي كان عوناً وسندا لنا طيلة هذا البحث، كما نتمنى أن يكون بحثا ذا سمة تضاف لرفوف المكتبة .

والله ولي التوفيق.

2021/05/10م

مدخل:

تعتبر الرواية إحدى الوسائل التي يستخدمها الأديب في التعبير، إذن هي عبارة عن نوع من السرد القصصي المطول.

ففي حديثنا عن نشأة الرواية العربية نجد أنها قد تأثرت كثيرا بالأدب الغربي و بالتراث العربي القديم من جهة أخرى، فالرواية العربية نجد أنها قد تأثرت بالأدب الغربي و خاصة في مجال الرواية و ذلك عن طريق الاحتكاك بالغرب ، وإما عن طريق البعثات العلمية التي كانت تقام في أوروبا، و إما عن طريق الترجمة التي نقلت إلينا كل ما يتعلق بآداب الغرب أمثال رفاعة الطهطاوي و غيرهم.

فظهور الرواية العربية كانت له أسباب عدة ، ولعل أبرز سبب أقره لنا الباحثون هو المثاقفة التي تمثلت في الاتصال الثقافي المباشر بين العرب والغرب في شتى الميادين ، سواء أكانت علمية أم أدبية ،فظهرت عندنا الترجمة العربية في القرن التاسع عشر بكثرة.

كما نلاحظ أن الرواية العربية قد تأثرت بتراثنا العربي أيضا ،"أولا: في صيغ القصص في القرآن الكريم و السيرة النبوية و ثانيا: في البذور القصصية الأولى ،في مقامات الهمذاني و الحريري التي ترجمت إلى عدة لغات مثل: الانجليزية و الألمانية، فضلاً عن الفارسية و التركية، كما تكمن تلك البذور في مثل (التوابع و الزوابع) لصاحبها ابن شهيد أحمد بن أبي مروان و رسالة الغفران لأبي العلاء المعري حيث انطلق البحث بالخصوص عن الخلاص عبر رحلة ابن الفارح التخيلية"[1] .

إن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية لم يأت من فراغ، بل كانت هناك عدة عوامل أسهمت في ظهور و تطوره، ولعل أبرز الأسباب نذكر على سبيل المثال الاحتلال الفرنسي و الذي كان له الدور الفعال في إبراز هذا الأدب ووصوله إلى ماهو عليه الآن، فقد عمل الاحتلال الفرنسي على انتهاج عدة سياسات لطمس الهوية الجزائرية كسياسة التجنيس وسياسة الفرنسة وسياسة التجهيل، إلغاء التعليم باللغة العربية ومحاربة المدارس القرآنية والزوايا، لكن فرنسا مقابل هذا كله عملت على إنشاء مدارس فرنسية في أوساط الجزائريين وكان الهدف وراء هذا كله جعل الجزائر فرنسية أرضا وشعبا.

إن هاته الفترة (1830-1962) كان لها أثر كبير على المجتمع الجزائري، إذ طبعت بالفقر و الجوع ومختلف المظاهر الاجتماعية التي عانت منها الجزائر إبان الفترة الاستعمارية.

[1] عمر بن قينة، الأدب الجزائري الحديث، شركة دار الأمة، ط1، الجزائر،1994، ص195-196.

فالأدب الجزائري على وجه العموم و الرواية الجزائرية على وجه الخصوص احتضنت تصوير الواقع الاجتماعي المرير الذي صبغ بمعاناة عديدة تمثلت في الظلم والفقر والبؤس والجوع، فالجزائريين رغم كل هذا حاربوا المستعمر بكل الأشكال والتي تمثلت في إقامة الثورات الشعبية كمقاومة الزعاطشة ومقاومة سيدي الشيخ، وكذلك بإنشاء عدة جمعيات منها : جمعية علماء المسلمين اللذان كانا لهما الأثر الكبير في تحقيق غايتهما ألا وهي التصدي لفرنسا .

عالجت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية مواضيع عديدة تعلقت بمختلف الجوانب كالجانب الاجتماعي والسياسي والثقافي .

لقد ظهر العديد من الروائيين ليعبروا عن واقعهم متخذين اللغة الفرنسية أداة للتعبير عن آلامهم و أقراحهم، وأدبهم كتب بلغة أجنبية لكن مضمونه و أصله بروح جزائرية، فهم لم ينسلخوا من مجتمعهم.

إن الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللغة الفرنسية في بدايات كتاباتهم قد تحدثوا لنا بمصداقية عن معاناة الإنسان الجزائري ونقلوا لنا كل المشاكل التي كانوا يعانون منها.

نجد أن مؤرخو الأدب يرون بأن سنة 1950هي الميلاد الحقيقي للرواية الجزائرية، وقد مثلها العديد من الروائيين أمثال : **محمد ديب، مولود فرعون، مولود معمري**...

"ويرجع المؤرخ و الباحث "جان ديجو" أول نص أدبي كتبه جزائري باللغة الفرنسية إلى سنة 1891 وهو عبارة عن قصة بعنوان "انتقام الشيخ"[1].

لكن هناك من يرجع سنة 1920 الانطلاقة الفعلية لهذا الأدب وعليه يقول أحمد منور في كتابه الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: " لاسيما في مجال الرواية فإن "جان ديجو"، المؤرخ الأول للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية يتخذ سنة 1920 كانطلاقة حقيقية لهذا الأدب الناشئ . ويعد مؤلف القايد بن الشريف، الموسوم ب " أحمد بن مصطفى القومي" بداية تلك الانطلاقة ، وينظر إليه على أنه أول رواية يكتبها جزائري باللغة الفرنسية"[2]، لكن نجد أن هناك من يقر بهذا التاريخ و هناك من يتجاهله.

نجد أن فترة الخمسينات تميزت بظهورها عدة أعمال روائية ك: "**نجل الفقير**" لمولود فرعون (1915-1962)و" **الأرض و الدم**" الذي صور لنا الطبقات الفقيرة في الجزائر.

[1] أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأة تطوره وقضاياه، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط1، 2013،ص 87.

[2] المصدر نفسه، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص89.

أتى محمد ديب بعمل جديد تحت عنوان"**الدار الكبيرة**" و "**الحريق**" و "**النول**"، و ظهرت في هاته الفترة عدة أعمال روائية عند كل من مولود فرعون و كاتب ياسين و مالك حداد... قد أبدعوا كذلك. "لم ينحصر هم الكاتب العربي الذي يكتب باللغة الفرنسية بالانبهار فقط بالثقافة الأوروبية، بل كان همه الأول هو البيئة العربية"[1].

الكاتب الجزائري كان همه الوحيد هو التعبير عن الواقع المزري الذي عاشته بلاده جراء المستعمر الغاصب، وحله الوحيد هو الكتابة والتعبير عن قضيته في المحافل الدولية.

[1] محمود قاسم، الأدب العربي باللغة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص12.

الفصل الأول:

- ✓ مفاهيم ومصطلحات الرواية .
- ✓ مفهوم الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.
- ✓ مراحل الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.
- ✓ تحولات الرواية الجزائرية .

مفهوم الرواية:

تعتبر الرواية من أجمل فنون الأدب النثرية وأحسن الأجناس الأدبية السردية التي حاولت تصوير الواقع وتجسيده، لهذا لقيت رواجاً كبيراً وحظاً أوفر لدى القرَّاء، فهي عبَّرت عن طموحاتهم ومآسيهم وعن الهوية الثقافية للشعوب. وتعدُّ الرِّواية الأكثر حداثة من حيث الشكل والمضمون، لأنها استوعبت جميع الفنون الأدبية من خطابات وأساليب وأنواع وأجناس فهي بهذا تكون لون أدبي هجين قابل لاستيعاب وفهم جميع الأنماط التعبيرية الأخرى. ولقد كثرت مادة **روى** في المعاجم وتشعبت مفاهيمها فوردت كما يلي:

أ- في المعنى اللغوي :

جاء في معجم النهاية في غريب الحديث والأثر، في حرف الراء: روي (هـ) فيع أنه –عليه السلام– : "سمَّى السحاب رَوَايَا البِلادِ" الرَّوايا من الإبل: الحَواملُ للماء، واحدتُها للرواية، فشبَّهها بها، ومنه سميت المزادة رَاوِية وقيل بالعكس ... (هـ) وفي حديث عبد الله " شَرُّ الرَّوَايا رَوَايَا الكَذب " هي جمع رَوِيَّة، وهي ما يُروِّي الإنسانُ في نفسه من القول والفعل: أي يُزَوِّرُ ويُفكِّر وأصلها الهمز، يقالَ روَّأْت في الأمر. وقيل هي جمع رَاوِية؛ للرجُل الكثِير الرِّواية، والهاء للمبالغة. وقيل جمع رواية : أي الذين يروُون الكَذب : أي تكثُر رواياتهم فيه.

(هـ) وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما " كان يأخذُ مع كل فريضةٍ عقالاً ورِواءً " الرِّواءُ بالكسر والمدِّ: حَبل يُقرنُ به البَعيرَان. وقال الأزهري: الرِّواءُ : الحبلُ الذي يُروى به على البَعِير : أي يُشَدُّ به المتَاع عليه. فأمّا الحبل الذي يُقرَن به البَعيرَان فهو القَرَن والقِرَان.

* وفي حديث ابن عمر" كان يُلبِّي بالحج يوم التَّروِية " هو يوم الثَّامن من ذِي الحِجَّة، سُمِّي به لأنهم كانوا يَرتَوُون فيه من الماء لِمَا بَعده : أي يسقون ويستقون.[1]

وفي لسان العرب:" روى الحديث والشعر يرويه رواية وتروَاه. وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: تروَوا شعر حُجَية بن المضَرب، فإنه يعين على البر، وقد رواني إياه، و رجلٌ راوٍ...

ويقال: روى فلانٌ فلاناً شعراً إدا رواه له حتى حفظه للرواية عنه. قال الجواهري: رويت الحديث والشعر رواية، فأنا راوٍ في الماء والشعر من قومٍ رواةٍ. ورَويتُه الشعر تَروِيةً أي حملته على رِوَايتِه".[2]

وفي قاموس المحيط يذكر الفيروز أبادي في مادة روى :

---

[1] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر احمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، الجزء الثاني، ط1 (1383هـ – 1963)، ص179، 280.

[2] ابن منظور، لسان العرب، تاج المستقبل للنشر الإلكتروني، بيروت لبنان، 1995، مادة روى، ص1786.

"روى من الماءُ واللبن كرَضيَ رَيَاً ورِياً وروى وتروَى بمعنى والشجر تنعم كتروَى، و الاسم: الرِيُ(بالكسر) و أرْواني وهو ريَان وهي ريَّانُ وهيَ ريَّا، ج: رِواءٌ وماء رَوي وَرَوَى وَرِوَاء كغني وإلى وسماء كثير مُرْوٍ، والرواية: المزادة فيها الماء والبعير والبغل والحمار يستقى عليه. روى الحديثَ، يروِي رِوَايةً وَتروَاهُ بمعنى وهو روايةٌ للمبالغة".[1]

والأروية: الأنثى من الوعول و بها سميت المرأة وهي أُفعُولَة في الأصل إلا أنهم قليلو الواو الثانية ياء وأدغموها في التي بعدها وكسروا الأولى لتسلم الياء. وثلاث أَرَاوَيَ على أَفاعِيلَ، وقد يخفف فيقال ثلاث أَرَاوٍ. فإذا كثرت فهي كثرت فهي الأرْوَى على أفعل بغير قياس.

قال يعقوب: وَرَوَيْتُ القوم أَرْوِيهُم، إذا استقيتَ لهم الماء، وَرَوَيْتُهُ الشِعر تَرْوِيةً، أي حملته على رِوايَتِهِ، وأرْوَيتُهُ أيضاً.

ورَويْتُ على أهلي ولأهلي، إذا أتيتم بالماء. وتقول: أَنشدِ القَصِيدة يا هذا، ولا تقل اروها، إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها.[2]

وجاء في معجم الوسيط باب الراء: (روى) على البعير... ريَا استقى. والقوم وعليهم ولهم: استقى لهم الماء والحديث أو الشعر رواية: حمله ونقله فهو راوٍ (ج) رواة والبعير الماءَ روايةً. حمله ونقله. ويقال: رَوَى عليه الكذبَ: كذب عليه. رَوَى من الماء ونحوه رِياً ورَياً. وروِيٌ شرب وشبع، ويقال رَوِيَ الشجر والنبت: تنعَم فهو رَيَان، وهي ريَانة، (ج) رِواءٌ ــ أَرواهُ. جعله يروي. وفلانا الحديث أو الشعر: حامله وناقله. (ج) رُواةٌ (الرواية) مؤنث الراوي والمستقى. ومن كثرت روايته والتاء للمبالغة (الرواية) القصة الطويلة. وفي علم العروض الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وإليه تنتسب يقال قصيدة بائية: إذا كان رويها (الباء).[3]

وقد أشار عبد المالك مرتاض في كتابه:" تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه، ويرتدي في هيئتها ألف رداء، وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل، مما يعسر تعريفها تعريفاً جامعاً مانعاً".[4]

---

[1] مجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادي 817هـ، قاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008، مادة(روى)، ص658.

[2] ينظر، إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، الجزء السادس، ط1، القاهرة 1965م، ط2 1979م، ط3 1984م، باب(روى)، ص 2364.

[3] مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، 2004م، ط4، باب الراء (الراء)، ص384.

[4] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية_بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، ديسمبر1998، ص15.

جاء معنى "روى" في المعنى اللغوي أن الرواية هي حوامل الماء وراوي الشعر والحديث هو راوٍ.

ب- في المعنى الاصطلاحي:

الرواية قصة نثرية طويلة حديثة تقدِّم في معظمها قصصاً مثيرة وخيالية، لهذا من الصعب إيجاد مفهوم جامع مانع لها كونها من الفنون النثرية الغير واضحة فكل باحث يمدُّ تعريف على حسب رأيه. فيرى عبد المالك مرتاض أنَّها:" شكل أدبي يرتدي أردية لغوية تنهض على جملة من الأشكال والأصول كاللغة والشخصيات ، الزمان، المكان، الحدث والصراع. وهي سيرة تشبه التركيب بالقياس إلى المصور السينمائي".[1]

معنى هذا أن الرِّواية عمل خيالي إبداعي يعتمد على مجموعة من العناصر المتداخلة أهمها الراوي، الأحداث، الشخصيات، الزمان و المكان.

وقد يكون أبسط مفهوم للرواية هو أنها:"فن نثري، تخيلي، طويل – نسبياً – وهو فن بسب طوله يعكس عالماً من الأحداث والعلاقات الواسعة والمغامرات المثيرة والغامضة أيضاً. وفي الرواية تكمن ثقافة إنسانية وأدبية مختلفة لأنها لا تسمح أن يدخل إلى كيانها جميع الأجناس التعبيرية".[2]

فالمقصود هنا لابد من توفر عنصر الخيال فهو أساسي وان كانت غامضة وطويلة فهي انعكاس للواقع الإنساني المعاش.

فالرواية تختلف عن الأجناس الأدبية كالمقال القصصي والقصة والشعر لأن لكل منهما مادته يعبر فيها عن مشاعره وأحاسيسه عكس الرواية فهي مادتها ثنائية كما يقول **باختين**:" الرواية متعدِّدة الأصوات وخطابها عبارة عن مزيج من الخطابات الشعرية والقصصية والتصويرية وغيرها".[3]

وقد اشتهرت الرواية بشيئين هما: أولهما ساذج نسبياً، وهي أنها وسيلة للتعبير عن سرورنا بالقصة وبهجتنا بمعرفة الواقع الاجتماعي بلغة أدبية نتكلمها ونكتبها والثاني بكونها ابتكاراً لفظياً معقداً.

وجاء في معجم المصطلحات لفتحي إبراهيم الرواية:" هي سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهدة. والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية الوسطى نشأ مع البدايات الأولى لظهور الطبقة البرجوازية وتحرر الفرد من الرق والعبودية."[4]

---

[1] في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص24.

[2] ينظر، أمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 2015، ص 27،

[3] د، عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، ط3، 2005، ص105.

[4] ينظر، إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس 1988، ص 176.

أو هي كما يرى صالح مفقودة:"رواية كلية شاملة موضوعية أو ذاتية، تستعير معمارها من بنية المجتمع وتفسح مكاناً لتتعايش فيه الأنواع الأدبية والأساليب كما يتضمن المجتمع الجماعات والطبقات المتعارضة".[1]

ومن هنا نرى أن الرواية تمتاز بالشمولية والكلية في موضوعاتها ولها ارتباط وثيق بالمجتمع والواقع.

وهناك تعريف آخر للرواية لعزيزة مريدن حيث تقول:" هي أوسع من القصة في أحداثها وشخصياتها، عدا أنها تشغل حيز أكبر وزمن أطول وتتعدد مضامينها، كما هي في القصة فيكون منها الرواية العاطفية والفلسفية والنفسية والاجتماعية والتاريخية".[2]

ويرى محمد غنيمي هلال أن الرواية: " تجربة إنسانية يصور فيها القاص مظهراً من مظاهر الحياة، تتمثل في دراسة إنسانية للجوانب النفسية في مجتمع وبلد خاصين، وتنكشف هذه الجوانب بتأثير حوادث تساق على نوع مقنع يبررها ويجلوها وتؤثر الحوادث في الجوانب الإنسانية العميقة وتتأثر به."[3]

- ومن خلال مجموعة التعاريف السابقة نورد تعريف عام للرواية:

هي سلسلة من الأحداث تسرد بشكل نثري طويل يتناول مجموعة من الأحداث في شكل قصة متسلسلة مرتبطة بالواقع والمجتمع، ظهرت في أوروبا بوصفها جنساً أدبياً مؤثراً في القرن (18) الثامن عشر، تتميز عن غيرها من الأجناس الأدبية أنها منفتحة على كل الأنواع الأدبية الأخرى.

وفي الأخير نورد تعريفا بسيطا للرواية الجزائرية:" وفي هذه الدراسة نقصد بالرواية الجزائرية هي تلك التي كتبها مبدعون من الجزائر، والتي شهدت انطلاقة فعلية للكتابة الروائية بعد نيلها الاستقلال وتحررها من الإستدمار الفرنسي، حيث شهدت انتعاشاً ثقافياً وانفتاحاً على مختلف الفعاليات الثقافية العالمية".[4]

---

[1] صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الأدب العربي، ص17.

[2] عزيزة مريدن، القصة والرواية، ص 20، نقلاً عن نسيمة بلعيدي وكريمة بلخن، شعرية اللغة في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي، مذكرة ماستر، جامعة منتوري قسنطينة، 2011، ص 14.

[3] خليل رزق، تحولات الحبكة مقدمة لدراسة الرواية العربية، ص 7، نقلا عن سليمة توني، البنية السردية في الرواية الجزائرية، مذكرة ماستر، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2014، 2015، ص 14.

[4] قواري سليمان، مباحث في الرواية الجزائرية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016، ص7.

1-الرواية عند العرب :

لقد عَرف العربُ الحكي منذ القديم ، إذ اعتبر بعضهم "بأن الرواية لها جذور و أصول في الأدب العربي الذِي عرَف هذا الفن ممثلا في بعض ما جاء مبثوقاً في كتب الجاحظ وابن المقفع ، ومقامات بديع الزمان الهمذاني والحريري "[1].

لكن بعض الدارسين على خلاف زملائهم ، نجدهم أنهم يختلفون عنهم من حيث وجهة نظرهم ، فيرونه أنه فن مستورد من الغرب ، إذ يرى بطرس خلاف الرأي نفسه فيقول : " لا يختلف اثنان في أن الرواية العربية نشأت في العصر الحديث فناً مقتبساً من الغرب أو متأثرا به تأثر شديدا "[2].

والملاحظ في نشأة الرِّواية عند العرب يجد أنها تشقُّ طريقين مختلفين في مصدرها :**أولا** : يرد مصدرها إلى التراث العربي القديم ، **وثانياً** : يرده إلى التأثر بالغرب، عن طريق الترجمة والبعثات العلمية التي كانت تتم إلى أوربا .

2-الرواية عند الغرب :

نجد أن هناك عدة إشكاليات تواجه الأديب حول معرفة الإطار الزمني لولادة هذا الفن الروائي في الغرب ، وذلك بسبب تعدد الآراء حول هذه القضية .

يرى بعض الباحثين أن الرواية ظهرت كجنس أدبي بظهور الرومانسية ، وعليه يقول الباحث محمد شاهين : " أن الرواية بدأت مسيرتها كجنس أدبي ندعوه عادة بالرومانسية يتألف في تركيبه من أحداث خارقة تحدث بعيدا عن حياة الإنسان اليومية وواقعها الذي نعيشه ، والهدف منها في الدرجة الأولى هو التسلية التي تنشأ عادة من تتبع الحوادث التي تحصل في تسلسل زمني"[3].

يجمع بعض النقاد على أن فن الرواية ، بدأ الإعلان عن نفسه في أوروبا خلال القرن الثامن عشر، وأن نشأته ترتبط بنشأة المجتمع الرأسمالي .

---

[1] صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة خيضر، بسكرة، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، ص10.

[2] بطرس خلاق، نشأة الرواية العربية بين النقد والإيديولوجية الرواية العربية، واقع و آفاق، أعمال ملتقى الرواية العربية الحديثة بالمغرب، دار ابن رشد كالطباعة والنشر، بيروت، ط الأولى 1981، ص17، 16.

[3] محمد شاهين، أفاق الرواية (البيئة والمؤثرات)، من منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2001، ص8.

"إن نشأة الرِّواية عند الغرب تلازم مع تطور المجتمع الرأسمالي بما يحمله من قيم جديدة ، وكان لتحرُّر الفرد داخل المجتمع وانتشار قيِّم الديمقراطية وهيمنة الحداثة بما تحمل من تنوع اجتماعي وتعدُّد فكري ، دورٌ أساسي في نشأة الرواية الغربية وتطورها "[1].

إذن " فإن الرِّواية تبدأ في أوروبا من القرن الثامن عشر حاملة رسالة جديدة هي التعبير عن روح العصر، والحديث عن خصائص الإنسان في أوروبا كونها تعتمد على المغامرة والفردية"[2].

لقد ازدهرت الرواية خلال القرن التاسع عشر وهذا حسب رأي حبيب فاطمة الزهراء التي تقول :" ومن المعلوم أن الرواية قد ازدهرت في الغرب في القرن التاسع عشر، حينما برزت أسماء كبار الروائيين مثل **بلزاك** و**ستاندال** و**تشارلز ديكنز** و فلوبير وقبل ذلك ظهرت في الغرب بعض المحاولات الروائية الشهيرة بأقلام الاسباني سرفانتس مؤلف دونكيشوت ، والانجليزي دانيل ديفو مؤلف روبنسن كروز"[3].

أما " في القرن العشرين تغيرت أحوال المجتمع الأوروبي بعد الحرب العالمية الأولى ، فقد الكاتب ثقته بمؤسسات مجتمعه التي كانت تفرض هيمنتها على الفرض. ونتيجة لذلك استقل الكاتب عن المجتمع ، وأصبحت له هوية مستقلة مكوناتها فنيته قيم وعادات وتقاليد ورغبات المجتمع بشكل عام . قال جويس مرة أنه كتب رواية يوليسيز بفنية ستشغل النقاد لمائة عام قادمة وقد ثبت ذلك ؛ لأنها مازالت مستمرة في أشغالهم "[4].

مراحل الرواية الجزائرية المكتوبة باللسان الفرنسي:

1-الرواية الكولونيالية: كان لدخول الاحتلال الفرنسي للجزائر أثر بالغ على الشعب الجزائري عامة، والمفكرين والمثقفين في مجال الفكر والإبداع خاصة، فأنتج ذلك أدباً هجيناً لديهم من خلال سياسة التجنيس الإجباري وطمس الهوية العربية الإسلامية، وإنشاء المدارس الفرنسية المختلطة، حيث نشأت نخبة مثقفة من الجزائريين اتسعت نظرتهم للعالم وللواقع المعيش في الوطن الأم، الذين اتخذوا من الفرنسية لغة لهم من أجل التحدث بلسان العدو والدفاع عن الشعب و الأرض والحقوق والحريات بلغة المحتل الفرنسي، كتحدٍ له، ولكشف واقع الإدارة الفرنسية وما ارتكبته في حق الجزائريين من جرائم، من خلال كتابة روايات ومجموعات

[1] محمد الباردي، نظرية الرواية، ضحى للنشر والتوزيع، تونس، 2013، ص 127 .

[2] عبد المحسن طه، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، دار المعارف، مصر، ط4 ، 1870 – 1930، ص 195.

[3] حبيب فاطمة الزهراء، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، رواية بماذا تحلم الذئاب لياسمينة خضراء، دراسة تطبيقية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، ص 17 .

[4] آفاق الرواية، مرجع سابق، ص 9 .

قصصية كثيرة أولها كانت قصة قصيرة بعنوان" **انتقام الشيخ**" كتبها محمد بن رحال نشرتها المجلة التونسية الأدبية والفنية في العدد الثالث (26 سبتمبر-03 أكتوبر 1891)،

أما أول مجموعة قصصية كتبها أحمد بوري تحت عنوان " **مسلمون ومسيحيون**" نشرت في صحيفة الحق سنة 1912.[1]

2-الرواية الاندماجية: ظهرت الرواية الاندماجية مع النخبة المثقفة من الكتاب الجزائريين خريجي المدرسة الفرنسية، حيث ساندوا مبدأ الاندماج ونادوا بالمساواة بين الفرنسيين والجزائريين بسبب اقتناعهم أن فرنسا مهمتها حضارية أرادت تخليص الجزائريين من الجهل والتخلف والفقر فمجدوها في أعمالهم ونزعوا عليها صورة المستعمر المدمر وإرجاع لفرنسا كل الفضل في تطور وتحضر الجزائريين. وفي سنة 1920 ظهر مؤرخ الأدب الجزائري باللغة الفرنسية **جان ديجو**(**Jean Déjeux**)حيث تعتبر هذه السنة هي البداية الفعلية لهذا الأدب تزامناً مع ظهور أول عمل أدبي بعنوان **أحمد مصطفى القومي Ahmed Mustapha Goumier** لصاحبها القايد بن الشريف، تلتها رواية **زهرة زوجة المنجمي Zahra La Femme du mineur** لعبد القادر حاج حمو، ثم جاءت بعدها رواية **مأمون** و **العلج أسير بربروسا** لصاحبها شكري خوجة. [2]

ومن خلال ما جاءت به هذه الروايات نرى أن الشعب الجزائري أصبحوا خاضعين للمستعمر الفرنسي خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وإلغاء قانون الأهالي العنصري ومنحهم حق إنشاء الأحزاب السياسية والمشاركة في الانتخابات...وكل هذا ظهر جلياً في أغلب كتاباتهم وهذا راجع لتعلقهم بالثقافة الفرنسية وتقديم كل الحب والامتنان لفرنسا وشكرها. ونحو ذلك في رواية **بولنوار الجزائري الشاب Bou-el nouar le jeune Algérienne** لصاحبها رابح زخاتي حيث ذكر فيها: " من حظ كل الجزائريين أن تكون الدولة الأكبر والأكثر حضارة هي المعلمة فمنها تمكن الجزائري من أن يخطو خطوات عملاقة."[3]

وعلى الرغم من أن المؤلفين قدموا الشكر لفرنسا وأقروا بفكرة الاندماج، إلا أنهم لم ينسوا ما يضرهم من خلال تلك العادات والتقاليد التي جاءت بها فرنسا؛ للقضاء على لحمة وترابط الأسرة المسلمة في الواقع

[1] ينظر، جبور أم الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية، دار ميم للنشر، ط الأولى، ص 36، 37.

[2] ينظر، احمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ص74.

[3] مرجع سابق، جبور أم الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية، ص 37.

الاجتماعي من حرية ولعب قمار وتعاطي الخمور...، إذ هاته العادات جزء من حياة الفرنسيين وليست من شيم الجزائريين (الإسلام، العروبة، الأمازيغية) فهي فقط دخيلة عليهم وهذا ما عالجته رواية **مريم بنت النخيل Meriem dans les palmes** سنة 1934 لمحمد ولد الشيخ، ورواية **ليلى فتاة جزائرية Leila jeune fille d'Algérie** لجميلة دباش.[1]

كانت مواضيع هذه الروايات تدور حول البحث عن الذات وعن الكينونة الجزائرية التابعة لفرنسا. وظلت هذه المواضيع سائدة على جل الروايات باللغة الفرنسية سائدة إلى غاية انتهاء الحرب العالمية ومجازر 8 ماي 1954 ، حيث اقتنعوا أن وجهتهم لم تكن صائبة وتوجيه كتاباتهم إلى الطريق الصحيح.

3–رواية القطيعة أو الرواية الثورية أو الحربية: عقب الحرب العالمية 2 ومجازر 8 ماي 1954 استفاق الشعب الجزائري من غفوته، وتغيرت نظرته للعالم الغربي خاصة فرنسا؛ التي رسمت معالم التحضر والتطور والخروج من بؤرة التخلف لدى الجزائريين بعدما خلفت 45 ألف شهيد جزائري. هاته المجزرة عدت فصلاً تاريخياً هاماً في كفاح الشعب الجزائري.

وبما أن الرواية مرآة عاكسة للواقع والمجتمع فقد ازدهر إنتاجها الروائي وضبطت طريقها على واقع حي وعلى إيقاع الحياة والموت، وغيرت كل مضامينها التي تدور حول الاندماج والمساواة والعدل والزواج المختلط... فالأدب الروائي الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي تعدى كل هذا، وحَمَلَ على عاتقه اقتحام العالم الداخلي للشعب الجزائري، وتناول همومه وآلامه من الثالوث الأسود (الفقر والجوع والتشرد). وتسليط الضوء على الوجه الحقيقي للاستعمار الفرنسي.

ومن أهم الروايات التي شكلت منعرجا في طريق الروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية رواية محمد ديب **الدار الكبيرة La Grande maison** سنة 1952 التي وصف فيها الجوع والفقر السائد في المجتمع، ثم تلتها رواية **الحريق L'Incendie** سنة 1954 ورواية **النول Le métier tisser** 1957 حيث يعبر فيهما عن معانات العمال والحرفيين والفلاحين من طرف المعمرين وعن قسوة الحياة.

استعمل محمد ديب لغة المستعمر الفرنسي وحاربه بها ليكشف كذب أقوالهم وادعاءاتهم وتبيان حقيقة الظلم والقهر والمعانات.

وقد نهج العديد من الروائيين نهج محمد ديب منهم **مولود معمري** في روايته **نوم العادل La sommeil du juste** الصادرة سنة **1955** التي تحدث فيها عن البؤس والحرمان والبطش والتعذيب

[1] مرجع سابق، احمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ص 77، 78.

في القرى القبائلية. وأيضاً رواية **نجمة Nedjma** سنة **1956** لصاحبها كاتب ياسين حيث يتناول فيها مظاهر الظلم والعنف والاستغلال الذي مارسه المعمرون على الشعب الجزائري، ويصور فيها أيضاً أحداث مجازر **8 ماي 1954** التي استحقر فيها المستعمر المتظاهرين من أجل الحرية والعدالة، وقد اعتبرت كتابات كاتب ياسين من الكتب التي تسبق الثورة وتخطط لها.[1]

ولم يغفل الكتاب الروائيون عن تصوير أحداث الثورة التحريرية وكشف أبشع صور القتل والتعذيب والاعتقال... وتقديم صور بطولات المقاومة الشعبية وتخليد تضحياتهم وهذا ما ظهر جلياً في روايات مالك حداد **الانطباع الأخير La dernière Impression** سنة **1958**، **التلميذ والدرس L'élève et la leçon** سنة **1960**، **رصيف الأزهار لا يجيب Le Quai aux fleure ne réponde plus** سنة **1961**.

كانت كتابات هؤلاء الأدباء غنية في تجربتها، وتحمل في طياتها كل معاني الإجرام والظلم والقهر التي ارتكبها المستعمر الفرنسي في حق الشعب الجزائري، فهم جزء لا يتجزأ من الشعب عاشوا نفس الظروف والآلام حتى أنهم قالوا: نحن نكتب باللغة الفرنسية لا جنسية فرنسية.

إن اللغة الفرنسية منحت الأديب الجزائري التعبير عن ما يتعرض إليه في وطنه وإيصاله إلى بلاد ما وراء البحار، شعب مظلوم ومقهور ومغصوب في أرضه وبلاده، شعب يجوع ويقتل ويشرد، شعب حرِم أَدنى متطلبات الحياة " الحرية "باسم الحضارة والتطور والتقدم.

4- رواية الأزمة (الأدب الاستعجالي): بقيت الرواية الجزائرية المترجمة من اللغة الفرنسية حتى للاستقلال وبعد الاستقلال فهي لم تنتهي معه بل تعدته إلى تطور أكثر، لأن الأدب مرآة عاكسة للمجتمع وللواقع . ولهذا كانت الرواية الجزائرية بعد الاستقلال كانت بمثابة الأب الشرعي الذي أنتجته التحولات الثورية بكل تناقضاتها، حتى أن معظم الروائيين الذين ظهروا في هذه الفترة تناولوا قضية الثورة والواقع المرير للشعب الجزائري وأرخوا لفترة واقعية صعبة ومُرة وقاتلة غيرت ملامح الشعب. ومن بين الأعمال الروائية التي عكست هاته الفترة: الحريق، الأفيون والعصا، تيميمون وغيرهم.

[1] ينظر، أمين الزاوي، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ص320، نقلاً عن حبيب فاطمة الزهراء، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، مذكرة ماجستير، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة معهد الترجمة، 2016/2015، ص22.

وبعدا أحداث أكتوبر **1988** تطورت وجهة الروائي الجزائري فاصطدم بواقع سياسي واجتماعي مرير مما أدى بالشعب الجزائري الخروج إلى الشارع في مظاهرات كبيرة بسبب الأوضاع الاجتماعية المعيشية المتدنية والاقتصاد المنهار والإقصاء والتهميش والبطالة والحرمان والبيروقراطية التي رسختها سياسة الحزب الواحد، والأزمة المالية العالمية التي أثرت بشكل خاص على دول العالم الثالث. فرفعوا لافتات تحمل مطالب الشعب نحو تطوير وتحسين كل الظروف المعيشية والاقتصادية، وقد تحقق هدا المطلب بفتح التعددية الحزبية مع صدور دستور جديد في **23** فبراير **1989** بعدما عجز الحزب الواحد عن تلبية مطالب الشعب، إذ قررت الحكومة تنظيم انتخابات تشريعية كانت حصة الأسد فيها للأحزاب السياسية إلا أنه قد تم إلغاء حصتها وصعود الحزب الإسلامي في مكانها.فانتشر العصيان المدني وعمت البلبلة في الوطن، وبعدها أعلنت حالة الطوارئ وأصبحت الجزائر تحت الحكم العسكري سنة **1991** وسقوط الحكومة واستقالة الرئيس في **1992** وتحول العنف السياسي إلى عنف دموي رهيب خلال عشرية كاملة. [1]

ظهر جيل جديد من الروائيين وأطلقوا على هاته الفترة العشرية السوداء، فترة الأزمة أو المحنة. وقد نادت بهذا المفهوم الفرانكفونية، يقول فيها جعفر يايوش:" لقد أطلق البعض من زملائنا الأدباء، والباحثين الجامعيين، على الكتابة الأدبية في الفترة التاريخية الممتدة مابين **1990** إلى **2000**، اصطلاح كتابة المحنة أو كتابات الإستعجال".[2]

تولد هذا المصطلح نتيجة الظروف القاسية والقاهرة التي مرت بها الجزائر. لأنها عايشت الأزمة وعكست الواقع، لدرجة أن قربته من التصوير الفوتوغرافي.

ومن بين الروائيين نجد رشيد بوجدرة في رواية (**تيميمون**)، رشيد ميموني في رواية (**شرف القبيلة 1989**)، أحلام مستغانمي في رواية (**ذاكرة الجسد**)، الطاهر وطار في رواية (**اللاز**)، ومثلهم روايات واسيني لعرج، بشير مفتي، إبراهيم سعدي،محمد ساري، ياسمينة خضرا ...

ومعظم هؤلاء الأدباء اهتموا بالنقل الحرفي للواقع ومن بنهم رشيد ميموني في روايته **اللعنة La 1993Malédiction**، حيث صوَّر فيها احتجاج الإسلاميين في ساحة أول ماي سنة **1991** واستيلائهم على قسم الاستعجالات في مستشفى مصطفى باشا بعد مواجهتهم مع قوات الأمن...

[1] ينظر، أحداث 5 أكتوبر 1988 ويكيبيديا ar.m.wikipedia.org يوم 9 مارس 2021، ساعة 21:57.

[2] عقون خاتمة و ذيب عمرية، محنة الكتابة التسعينية دراسة فنية للرواية الجزائرية التسعينية، رواية الغيث ل: محمد ساري مذكرة ليسانس، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة، كلية الآداب واللغات والفنون 2018/2017، ص7.

واهتمت أيضا أحلام مستغانمي بالمثقف وجعلته حاضر في روايتها يلعب دور البطل أو الراوي فمثلا في روايتها ذاكرة الجسد نجد البطل **خالد** فنان يبدع في الرسم، متعلق بلوحاته الفنية، يعيش بين حسرة الماضي والحاضر. كما نجد أيضاً شخصية **المعلم حسان** الذي كان يحلُم بحياة كريمة يعمها الأمن والسلام، إلا أن مجموعة إرهابية تغتاله في الجزائر العاصمة ويموت.

استطاع الكثير من الروائيين إنتاج نصوص تحمل المعنى الحرفي للحرب في الجزائر، وتجربة واقعية حسية كل على حسب فكره وقناعته، إذ هي كانت ملاذهم الوحيد للبحث عن الحقيقة وفهم الواقع، أدت إلى تكوين وحدة التجربة العامة.

تحولات الرواية الجزائرية :

تعتبر الرواية أحد الأساليب التي يلجأ إليها الأديب في التعبير عن خلجات نفسه على العموم، حيث أن الرواية الجزائرية على وجه الخصوص احتضنت قضيتها، بالدفاع عليها بمختلف الوسائل محاولة في ذلك إبراز القضية الجزائرية في المحافل الدولية.

لقد استطاعت بالفعل الرواية الجزائرية أن تعبر عن مجتمعها، وذلك بفضح السياسة الاستعمارية التي كانت تعيشها الجزائر منتهجة في ذلك عدة أساليب.

ارتبطت نشأة الرواية الجزائرية بنشأة الرواية في الوطن العربي ، فظهور الرواية الجزائرية في بداياتها ارتبط بالوضع السياسي الذي كانت تعيشه الجزائر أنذاك ، والملاحظ في كتابات الدارسين يجد أن هناك ثلاثة تواريخ شائعة تدل على بداية الرواية الجزائرية، وهي على التوالي: سنة **1947** التي يربطونها بصدور "**غادة أم القرى** " لأحمد رضا حوحو ، وسنة **1957** مع ظهور "**الحريق**" لنور الدين بوجدرة ، وكلا العمليتين طبعا بتونس، وسنة **1979** بصدور رواية "**ريح الجنوب**" لعبد الحميد بن هدوقة، عن الشركة الوطنية والتوزيع بالجزائر"[1].

حيث نرى أن الرواية الجزائرية[2] قد كان لها صلة عربية و إسلامية ، حيث يقال أن رواية "حكاية العشاق في الحب و الاشتياق "لمحمد بن إبراهيم سنة 1841م وهي أول حمل في الأدب الجزائري ، تليه محاولات أخرى على شكل رحلات ذات طابع قصصي منها "ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس سنوات 1852، 1878م، 1902.

[1] أحمد منور، ملامح أدبية، دراسات في الرواية الجزائرية، دار الساحل للنشر وتوزيع الكتاب، ص9.

[2] عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخيا وأنواعا وقضيا وإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، (د.ط)، 1995، ص197-198.

نجد أن معظم الأدباء الجزائريين قد سلكوا مسلك النوع الروائي دون أن يمتلكوا في ذلك الوعي النظري بشروط كتابة الرواية كنص "**غادة أم القرى**" سنة 1957 لأحمد رضا حوحو، "**الطالب المنكوب**" سنة 1957 لعبد المجيد الشافعي ، "**صوت الغرام**" سنة 1967 لمحمد منيع.

لكن يعتبر نص "**ريح الجنوب**" 1971 لعبد الحميد بن هدوقة ، العمل الروائي الوحيد الذي أسس لزمن تأسيس الرواية في الجزائر .

نجد أن الرواية الجزائرية قد تأثرت تأثرا كبيرا بروايات العالم سواء كان هذا في المشرق أو المغرب ، وهذا ما ساهم في تطورها ، ويظهر ذلك في الفترة الاستعمارية وما بعد الاستقلال .

أ- قبل الاستقلال :

إن الرواية الجزائرية قبل الاستقلال سلكت مسلكين نتج عنهما صراع أولا : من جهة الشعب الجزائري وثانيا : من جهة المستعمر الغاصب ، لكن مع كل هذا إلا أن هاته الأوضاع ساهمت بشكل بارز في ظهور الرواية الجزائرية .

هناك شكلان من أشكال مقاومة الشعب الجزائري أحدهما سياسي والآخر مسلح :

"النشاط السياسي السلمي يبدأ مباشرة عقب الاحتلال وتوقيع الدَّاي حُسين على معاهدة الاستسلام في جويلية 1830" [1]

نجد أن النشاط السياسي قد انبثقت منه عدة أحزاب متخذة عدة تيارات في مسارها وهي على الشكل الآتي:

1- التيار الأول : اندماجي كان يطالب بتحقيق المساواة بين الأغلبية الجزائرية والأقلية الاستعمارية .

2- التيار الثاني : استقلالي بعد الحرب العالمية الأولى ممثلا في نجم شمال إفريقيا .

3- التيار الثالث : وهو إصلاحي اجتماعي تمثله جمعية العلماء المسلمين التي شكلت سنة 1830 ، وقد تميز شعارها " الإسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا "[2].

يرى بعض الدارسين العرب أن الرواية العربية في الجزائر ترجع إلى سنة 1951، وذلك بصدور رواية الطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي ، لكن بعد سنة 1951 لم تظهر أي رواية عربية جزائرية إلى غاية سنة 1961 أي بعد الاستقلال .

[1] صالح مفقودة ،نشأة الرواية العربية في الجزائر ، التأسيس و التأصيل ، مجلة "أبحاث في اللغة و الأدب العربي " ص16.

[2] المرجع نفسه، ص 16- 17.

لقد تأخرت الرواية الجزائرية وهذا راجع إلى تلك الأوضاع السياسية التي عاشتها الجزائر فالاستعمار الفرنسي سعى جاهدا بكل الوسائل إلى طمس الهوية الجزائرية منتهجا عدة سياسات كسياسة التجهيل والاندماج ، لكن نجد أن الرواية الجزائرية اتخذت في طريقها شقين .

1. هناك من اتخذ اللغة العربية أداة للتعبير .
2. هناك من اتخذ اللغة الفرنسية أداة للتعبير .

غير أن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية سعت جاهدة للتطرق إلى قضايا الشعب ومعاناته، وهذا ما نلمسه في كتابات الأدباء الجزائريين أمثال محمد ديب ومولود فرعون وغيرهم، الذين كان هدفهم الوحيد هو التعريف بالقضية الجزائرية في المحافل الدولية عن طريق إبداعاتهم الأدبية .

أما المقاومة المسلحة فقد انطلقت منذ احتلال الجزائر في شكل ثورات متلاحقة نذكر منها ثورة متبجَّة، مقاومة الأمير عبد القادر، وثورة الفلاحين 18741 وغيرها من الثورات، هناك عوامل عدة ساهمت في تحديد مسار الرواية الجزائرية نذكر منها :

1. ثورة الفلاحين :

وقعت هذه الثورة ابتداء من عام 1871، وهي ثورة فلاحية توحد فيها ملاك الأراضي من الجزائريين، الذين ضايقتهم السلطات الفرنسية بسلب أراضيهم، والفلاحين البسطاء الذي كان بدورهم يُوَدون طرد المستعمر. وقد تزعم هذه الحركة "المقراني"، وبعد مقتله تسلم "الشيخ الحداد "من الرواية الرحمانية قيادة الحركة، فقصدت هذه الثورة مدة من الزمن ، لكنها سرعان ما عادت الثورة بظهور أول بذرة قصصية في الأدب الجزائري وهي : "**حكاية العشاق في الحب والاشتياق**" لمحمد بن محمد بن مصطفى بن إبراهيم الذي صادر المستعمر أملاكه وأملاك أسرته، ولعل ظهور هذه الرواية كان انعكاسا لنتائج الحملة الفرنسية على الجزائر، وان كانت الحكاية لا تُصور ذلك [1].

2. أحداث 8 ماي 1945 :

تعتبر مجزرة 8 ماي 1945 أبشع مجزرة شهدتها الجزائر ، لكن نجد أن هذه المجزرة ساهمت في إبقاء الحس القومي والوعي السياسي لدى الفئة المثقفة في الجزائر ، إذ يعتبر هذا الأدب أدب يحمل في طياته قضايا شعبه وآلامهم و آمالهم ، حيث ظهرت أول رواية باللغة العربية في عام 1947 وهي "غادة أم القرى " لأحمد رضا حوحو" فهاته الرواية تعبر عهن معاناة المرأة من مختلف الجوانب .

[1] مرجع سابق، صالح مفقودة، نشأة الرواية العربية في الجزائر، ص18.

تليها محاولة أخرى بعنوان "الطالب المنكوب " لعبد المجيد الشافعي ، الذي تصور حياة طالب وقع في حب فتاة أدت به إلى الإغماء ، ثم تأتي الحريق "لمحمد ديب "، والتي صدرت سنة 1957 وغيرهم غيرهم من الروايات التي صدرت في هذا الوقت تحاكي أعمال غيرهم غير أنهم احتكوا في المضمون في طريقة علاجهم لقضاياهم .

3. ثورة نوفمبر (1954–1962):

تعتبر فترة الخمسينات، تغير شامل يمس كل الجوانب سواء كانت اجتماعية أم اقتصادية و هذا ما نلاحظه في معظم أقطار المغرب العربي، الذي تمخض عنه ثورات كثورة الجزائر المجيدة (1954-1962).

نجد أن فترة الخمسين هي فترة ظهور الرواية الجزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية، حيث ظهرت إبداعات أدبية، وانصهرت فيها كل الأحزاب وتغير أسلوب الحياة والتعامل مع الآخرين، وفي هذه الفترة ظهرت أعمال روائية ممثلة في :

- الطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي 1951.
- الحريق لنور الدين بوجدرة عام 1957.

بطبيعة الحال فان صدى الثورة في الأدب سيحدث لاحقا ، أما لهيب الثورة فكان للغة الرصاص القول و الفصل والأوحد.

ب– بعد الاستقلال :

تعتبر فترة السبعينات الميلاد الحقيقي بالنهوض بالرواية العربية في الجزائر ، إذن "إن بداية السبعينات هي المرحلة الفعلية التي شهدت القفزة الحقيقية للنهوض الروائي الفني في الجزائر ، حيث ظهرت تباعا عدة أعمال روائية مثل : "مالا تذروه الرياح " و"ريح الجنوب" و "اللاز " بالإضافة إلى رواية أخرى ذات أهمية متميزة وهي "الزلازل"[1]. أعتقد أن الرواية في هذه الفترة ، قد عبرت أكثر من غيرها عن روح الشعب الجزائري.

- نجد أن فترة الثمانينات قد عبرت على الواقع الاجتماعي والسياسي للشعب الجزائري ، وهذا ما يظهر جليا في موضوعات الروائيون حيث نراهم يلتفون حول واقع شعبهم وما يعانيه من عنف فنجد أن العديد من الأدباء ، قد كتبوا في هاته الفترة أمثال : الطاهر وطار في "الشمعة والدهاليز"، وبشير مفتي في رواية "المراسيم والجنائز".

[1] إدريس بودية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، الجزائر،2007، ص39.

-

الفصل الثاني:

- ✓نبذة عن محمد ديب.
- ✓المنجز السردي و المسار الإبداعي له.
- ✓المظاهر الاجتماعية في ثلاثية محمد ديب.
  1. الدار الكبيرة.
  2. الحريق.
  3. النول.
- ✓ الخاتمة.

نبذة عن حياة الأديب محمد ديب :

نشأته :

ولد محمد ديب بمدينة تلمسان في اليوم الواحد والعشرين من شهر تموز (يوليو) 1920[1] ، هو روائي و شاعر وكاتب مقال ، وله مسرحية واحدة ، ومجموعة من كتب الأطفال .

وقد درس ديب في مدينته ، وقرض الشعر وهو في الرابعة عشرة من عمره ، ورغم أن أباه كان موسيقيا بارعا ، فان الصغير لم يتلق منه أي تعليم ، حيث توفى الأب في سن مبكرة تولت أمه مسؤولية أبنائها الأربعة ، وهذه الأم ستكون الشخصية الرئيسية في ثلاثيته الشهيرة التي بدأ نشرها في عام 1952[2] .

وقد حمل المسؤولية الأسرية وهو صغير السن ، مارس العديد من المهن ، كما درس ثم عمل صحفيا بجريدة الجزائر جمهورية بين عامي 1949 و 1951 ، ومارس العمل النقابي في عام 1946 بدأ ينشر قصائده ومقالاته ، وعمل كعامل نسيج ، وقد أثرت مهنته كعامل نسيج في إبداعه الشعري و الروائي [3].

خاض مجال الرواية والقصة القصيرة والمسرح و الشعر و أدب الأطفال بشغف كبير و موهبة عالية ، نشأ في عائلة توالت حياكة الزرابي و الصناعات التقليدية النسيجية ، وهي الحرفة التي تمتاز بها مدينة تلمسان منذ القدم [4].

التحق محمد ديب منذ الصغر بالمدارس الفرنسية ، وتدرج بها إلى أن ملك زمام اللغة الفرنسية عكس معظم أدباء بلدته .

كان لوفاة أبيه سنة 1931 كبير الأثر عليه وإذا باللوعة والحزن يجران قريحته الشعرية فانطلق في كتابة القصائد و الأشعار وذلك مع موازاة مع عمله في التدريس الذي كان يمارسه من 1938 إلى 1940 في إحدى المدارس بمنطقة على الحدود الجزائرية المغربية [5].

في عام 1947 زار محمد ديب فرنسا لأول مرة من خلال وفد أدباء جزائريين، وبعد ثلاثة سنوات تزوج من زوجته الفرنسية ، وسافر إلى فرنسا عام 1954، حيث نشر الجزء الثاني تحت عنوان "**الحريق**" .

---

[1] ثلاثية محمد ديب، الدار الكبيرة، الحريق، النول، ترجمة سامي الدروبي، دار الوحدة، 1985، ص 9.

[2] محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص 118.

[3] المصدر نفسه، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، ص 119.

[4] زهرة ديك، من روائع الأدب الجزائري، مقتطفات من نصوص أبرز الأدباء الجزائريين، دار الهدى ، الجزائر، ص 397 .

[5] المصدر السابق، من روائع الأدب الجزائري، ص 399 .

وبداية عقد الستينات، عرف محمد ديب الرحيل بدون توقف، فسافر إلى العديد من الدول، كما أنه عمل مدرسا في العديد من الجامعات الأمريكية، ورغم كل هذا الإبداع الغزير ل يتوقف عن الرحيل، فترك لنا العديد من المؤلفات و الكتب والقصص [1].

منجزه السردي ومسار إبداعه :

محمد ديب أديب جزائري عرف بغزارة إنتاجاته الأدبية وقدراته العالية على ممارسة كل الأجناس الإبداعية، فهو الروائي و الشاعر و القصاص و المسرحي وكاتب مقال، بدا يكتب الشعر و هو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره.

في بداية الستينات نشر عدة دواوين، الأول تحت عنوان " الظل الحارس " أما ديوانه الثاني فقد نشره عام 1975 تحت عنوان " تشكيلات "، ثم جاء ديوانه الثالث "اومنيروس "عام 1975 و" نبران جميلة " عام 1979[2].

أما كتاباته الروائية فكانت تأتي تباعا وبانتظام، ولم يقف عند نجاح ثلاثيته التي ترجمها الدكتور سامي البارودي إلى اللغة العربية، ونشرت في روايات الهلال عام 1970، وبعد سنتين جاءت "رقصة الملك". وبعد عامين آخرين صدرت روايته "الله عند البربر" ثم نشر "سيد الصيد" عام 1973. و "هابيل" عام 1977،وفي عام 1985 نشر "شرفات اورسول".

ومن أشهر المجموعات القصصية لمحمد ديب "الطلسم" نشرها عام 1966، أما مسرحيته الوحيدة "ألف صرخة لامرأة محاربة" فقد نشرت عام 1980.[3]

نظرا للنجاح الباهر الذي حققته ثلاثيته الشهيرة، أصبحت مقرونة باسم محمد ديب ولا يمكن الوقوف عند هذا العمل الإبداعي دون أن نذكر المصادر التي تأثر بها الكاتب، فلا شك أننا أمام سيرة اقرب إلى التشابه بين تجربة الكاتب وبين عمر الشخصية الرئيسية في الرواية.

[1] مصدر سابق، من رائع الادب الجزائري، ص 199 .

[2] نفسه، ص 409 .

[3] نفسه، ص410.

من ابرز مؤلفاته:

الروائية:

ثلاثية الجزائر:

-الدار الكبيرة 1952

-الحريق1954

-النول1957

-اله وسط الوحشية 1970

-الجري فوق الشاطئ البري 1972

-سيد القنص 1973

-هابيل 1977

ثلاثية الشمال:

-سطوح اورسول 1985

-إغفاء حواء 1989

-ثلوج المرمر 1990

-إذا رغب الشيطان

-الشجرة ذات القيل 1998

-صيف إفريقي.

القصصية:

-في المقهى 1957

-الطلسم1966

-الليلة المتوحشة1977

الشعرية:

-الظل الحارس1962

-تشكيلات1975

-اومنيروس1975

-نيران جميلة1979

-" آه لتكن الحياة"1987

المسرحية:

-"بابا فكران" كتاب للأطفال.

-إلى جانب ترجمته للكثير من الأعمال باللغة الفنلندية[1].

من الجوائز التي حظي بها جائزتان:

-جائزة الدولة التقديرية للآداب برفقة الشاعر محمد العيد آل خليفة سنة 1963.

-جائزة الفرانكفونية وكان أول كاتب مغاربي يحصل عليها سنة 1944 من الأكاديمية الفرنسية لقاء أعماله السورية و الشعرية[2].

[1] مصدر سابق، من روائع الأدب الجزائري، ص403.

[2] المصدر نفسه، ص404.

المظاهر الاجتماعية في ثلاثية محمد ديب:

إن الرواية الجزائرية في فترة الاستعمار كانت تجسد الواقع الاجتماعي و السياسي و الثقافي إبان تلك الفترة، فقد استطاعت وبجدارة أن تنقل إلينا معاناة الكثير من الشعوب المستعمرة التي كانت تحت وطأة الاستعمار، ومن بينها الجزائر؛ فالجزائر كما نعلم أنها عانت كثيرا من ضغوطات الاستعمار الفرنسي، ففرنسا ضغطت على الشعب الجزائري بكل الوسائل وطبقت عليه مختلف السياسات لتجعله تحت قدمها،وكل هذا نجده يرجع بالسلب على الجزائريين ، ويحطم من نفسيتهم ، وبالرغم من كل هذا إلا أن الشعب الجزائري كان يؤمن بضرورة مقاومة الاستعمار و إخراجه من أرضه، فسعى بكل الوسائل البسيطة في مكافحة هذا المحتل الغاصب بوصفه بأبشع الصفات.

نعلم أن الساحة الأدبية في تلك الفترة كانت تزخر بمواهب كثيرة وعديدة، فكانت أقلامهم كلها تصب حول إبراز معاناة الشعب الجزائري على مختلف الأصعدة، إلا أنهم لم يكتبوا هذا الأدب بلغتهم الأصلية ولكن اختاروا اللغة الفرنسية وهذا لأسباب عدة، على الرغم من أن هذا الأدب كُتب بلغة أجنبية إلا أن روحه و مضمونه يبقى عربي الأصل، فهو يحمل في طياته معاناة شعوب كانت تعاني من الإستدمار الفرنسي، ويجسد لنا الواقع المعاش، ومن بين أبرز الأقلام الجزائرية التي كتبت عن الجزائر نذكر على سبيل الذكر: محمد ديب في ثلاثيته الشهيرة :" الدار الكبيرة، الحريق، النول".

هذه الثلاثية تبرز لنا الواقع المعيش في الجزائر، وتنقل إلينا معاناة الأسر الجزائرية إبان فترة الاستعمار، إذ رسم محمد ديب لنا مرحلة من تاريخ الجزائر بين سنتي 1939-1942.

ثلاثيته هاته عمل أدبي راق، أسلوبه المشوق جعل القراء يلتفون حول هاته الرواية لقراءتها و معرفة مضمونها، حيث يصف لنا واقعا اجتماعيا معقدا في حقبة تاريخية، وهذا ما نلمسه في روايته هاته من نقلٍ لأحداث بمصداقية، وكذلك رؤيته الموضوعية، خاصة أن الثلاثية تنقسم إلى ثلاثة أجزاء، في كل جزء من أجزائها يشكل لنا عدة مظاهر اجتماعية، وهي كالتالي:

أولاً– الدار الكبيرة:

1– الجوع:

إن محمد ديب في روايته هاته قد صور لنا مظهرا أساسيا لأغلبية الشعوب المستعمرة ألا وهو "**الجوع**"، فكما نعلم أن معظم الشعوب المستعمرة التي كانت تحت وطأة الاستعمار عانت كثيرا من هاته الظاهرة، وإلى اليوم ما زالت تعاني بعض الدول، فالجزائر مثلا هي من بين تلك الدول التي تعاني من الجوع إبان تلك الفترة، لأن

فرنسا عملت جاهدة على تجهيل وتجويع المجتمع الجزائري ، حيث كان هم الشعب الوحيد أنذاك تحصيل لقمة العيش لا أقل ولا أكثر، لأن الطعام في تلك المرحلة كان يعيش من المستحيل الحصول عليه إلا بمشقة ولكن بشيء قليل من الطعام لسد رمق الجوع، لكن الكاتب أتى لنا بشخصية "عمر" الذي جسد لنا فيه هذا المظهر، فالكاتب في مستهل روايته يبتدئ بجملة "هات قليلا مما تأكل "[1]شعوبها دلالة اجتماعية على الحالة التي يعيشها عمر و عائلته ،فهذا لا ينطبق على أسرة عمر بل كل الأسر الجزائرية، فقد استطاع محمد ديب أن يفضح لنا سياسة التفقير التي استعملتها فرنسا على الجزائر لنتركهم في جوع مستمر والتي عبر عنها ديب بالخبز أو الجوع.

فالجوع مظهر اجتماعي أتى لنا به الكاتب ليصور لنا الواقع الاجتماعي المزري الذي يعيشه الشعب الجزائري، فالكاتب من خلال هذا الموضوع نجد أنه قد أحس بمجتمعه وما يعانيه فجسده لنا في روايته هاته،فهذا الأخير هو ظاهرة اجتماعية عانت منها شعوب وشعوب، فكان عمر يكافح من أجل لقمة العيش ليل نهار هو وأمه **عيني** الأرملة، فهي كانت تكابد الوقت من أجل توفير لقمة العيش وذلك من أجل توفير لهم أبسط الحاجيات لسد الجوع الذي يعتريهم.

2- البؤس و الشقاء:

إن هذا المظهر الاجتماعي طغى كثيرا على الأسر الجزائرية،وهذا ما نلمحه في "**دار سبيطار**"، فكل أسرة نجد أنها من كثرة المعاناة والضغوطات أصبحت تيأس من هذه الحياة، فالقمع الذي تمارسه فرنسا على الشعب الجزائري يزيد من شدة يأسهم، فنجد أن المرأة الأرملة "**عيني**" أم عمر قد عانت كثيرا بعد موت زوجها لتجد نفسها وحدها في كفالة أطفالها وأمها وعليه يقول محمد ديب في روايته: **"لقد كانت عيني تشكل ماكينتها لإعالة أسرتها منذ خمسة عشر عاما أي قبل وفاة زوجها بمدة طويلة"**[2].

أما "**عيوشة**" أخت عمر قد صحبها حتى هي اليأس و الشقاء الذي تعانيه المسكينة جراء الواقع المزري الذي تعيشه، وأمها التي تجبرها كثيرا على القيام بالعمل في المنزل مما زاد من بؤسها ، فقالت في نفسها: **"دائما أنا ...ليتني أموت... عسى أن أرتاح بعد ذلك"**[3]، فهاته المسكينة طفلة لم ترى شيء في الحياة و يئست ، فما بالك بأمهم التي عانت سنين طويلة .

---

[1] مصدر سابق، الدار الكبيرة، 1985، ص13.

[2] مصدر نفس، ص24.

[3] مصدر نفسه، ص79.

3- انعدام الحب و الحنان:

إن معاناة عمر من طرف أمه جعلت منه طفل قاسي، غير بار بوالديه، فنجد أن الآباء يصبون غضبهم على أولادهم وكأنهم هم السبب في هاته المعيشة، فهم لا يجيدون حسن التصرف و المعاملة مع أبنائهم، فالصعوبات المعيشية تجعلهم يعانون كثيرا فيصبون هذا الغضب على أطفالهم الصغار، عن طريق الانفعال و الصراخ ، فالطفل عمر و أمه عيني يجسدان هاته الظاهرة.

4- التمرد:

عمر في معاملته مع أمه نجد أنه غير بار بوالدته، فهو يراها كيف تتعامل مع أمها التي هي جدته فنجده يصرخ و يرد على أمه بكلام فاحش، فهذه نتيجة حتمية للحالة المزرية التي يعيشها من جوع وقهر وفقر وفقدان الأب و معاملة قاسية من طرف الوالدة، هذا ما ينتج عنه قسوة القلب اتجاه أمه فهذا لا يمثل الطفل السوي بل الطفل الغير عادي.

ونلاحظ أيضا أنه يرد على أمه بقوله: **"اخرسي يا....عاهرة"**[1]، فتلحقه أمه فيهرع هاربا إلى الشارع، فنجد أن الأم عيني لا تجيد التعامل لا مع أمها ولا مع ولدها، فيقول عمر لأمه و هو مدهشا:**"يلعن أبوك، يا ملعونة، تلعن أمك"** [2].

5- ضيق المسكن:

نلاحظ أن في دار سبيطار وهو عبارة عن منزل ضيق، تسكن العديد من العائلات الجزائرية، نجدها تتكون من مرحاض واحد وعدة غرف في كل غرفة تقطنها عائلة، فهذا هو المرحاض الوحيد الذي نجد الكثير يقصدونه من رجال و نساء و أطفال، وعليه يقول الكاتب: **"إن المراحيض تقع في المطبخ المشترك و سرعان ما وقفت على باب المرحاض إحدى النساء تنتظر أن يخرج عمر، هذا مكان لا تهدأ فيه الحركة أبدا، ثقب واحد لجميع الناس أمر لا يصدق"**[3] .هاته الصورة تنقل إلينا معاناة عمر وأسرته وجميع الأسر الذين يقطنون "**دار سبيطار**".

[1] مصدر سابق، الدار الكبيرة، 1985، ص26.

[2] مصدر نفسه ، ص 26.

[3] مصدر نفسه، ص68.

ثانياً– رواية الحريق:

هي الجزء الثاني من الثلاثية تجسد فكرة الصراع الإيديولوجي بين الأنا والآخر في الريف وبالتحديد منطقة "**بني بوبلان**". يصور لنا فيها الفقر والبؤس و القساوة التي يعانيها الفلاحين من طرف المعمرين الكولوم. وهي تقريباً منطقة منعزلة عن العالم " **منطقة نائية عن العالم، رغم أن المسافة التي تفصلها عن تلمسان لا تزيد على ثلاثة كيلومترات** " [1] .

و يقدم محمد ديب على رسم صورة مبسطة لها " **إن حياتهم تنقضي أيام زراعة ورعي لدى المستوطنين الفرنسيين وهي حياة تبلغ من طابع القدم ويبلغ أصحابها من بساطة العيش درجة تحسبهم معها آتين من قارة منسية، إن الأرض هناك في الأعالي صعبة المراس لا ماء فيها قاحلة تختنق ظمأ و لا تكاد تسمع سكة المحراث القديم إن تحزها** " [2] .

وسبب مجيء عمر من المدينة إلى الريف هو انتقاله مع جاريته زهور لقضاء عطلة الصيف عند أختها المتزوجة **ماما** بمزارع يدعى **قره علي**، ويتعرف فيها على أطفال مثل سنه و أشقى منه وأشد بؤساً و حرماناً. و يتعرف أيضا رجل عجوز ملقب **بكومندار** عمل في العسكرية مدة طويلة فقد فيها ساقيه من الركبتين فهذه الحادثة تركت فيه أثر عميق و إحساس أليم وفهم واعي لما يدور حوله . وتعرف أيضا على الفلاحين و المزارعين الذين استولى المعمرين على أراضيهم منهم بن **رباح** ، **بادعدوش** ، **قره عيني** و**بن أيوب** ....

انصاب الفلاحين قليل من الوعي و النهضة في التفكير خاصة بوضعهم الاجتماعي والاضطهاد الذي يعيشونه .كانوا إذا شعروا بالجوع و الحزن قاموا بالغناء لنسيان همومهم و آلامهم وهذا ما يظهر في كلام الشيخ " **حين تعوزنا الوجبات ينهشنا الضجر نهشاً، فنأخذ تغني أغاني حزينة ونحن لا نعرف متى نتوقف عن الغناء** [3] ويصور أيضا حالة أخرى من البؤس عندما سأله أحدهم عن حالهِ، مُجِيبَه " **الحر خانق و البطن خاو هذه حالي** " [4] .

قام المزارعون بإضراب حول استيطان المعمرين على أراضيهم، يقول " **ألوف الهكتارات من الأرض كانت تصير ملكا لمستوطن واحد من الفرنسيين**" [5]. فهم كانوا يعيشون حياة الذل في أرضهم فأجسامهم تعبت وروحهم أرهقت و أصبحت تقطر دما و عرقا من أجل زرع ولو نقطة صغيرة من الأرض المتبقية لهم .

---

[1] مصدر سابق، الحريق، ص 117

[2] مصدر نفسه، ص 118.

[3] مصدر نفسه، ص 125.

[4] مصدر نفسه، ص 137.

[5] مصدر نفسه، ص138.

يقول بادعدوش: " **آه ...ليت واحدا فقط يعرف كيف يقص على الناس قصة الحياة الحزينة الشقية التي يعيشها الفلاحون ...و ليته بعد أن ينتهي من الكلام عن الفلاحين المساكين يتحدث عن حياة الأبهة التي يعيشها المستوطنين الفرنسيين** "[1]. فالمقصود هنا أنَّه لو جاءهم أحد وطلب منهم أن يقصوا عليه قصة تتحدث عن البؤس والحرمان والشقاء لما تحيَّروا في ذلك، فحياة الفلاحين تجسد ذلك صوتاً وصورة، استعبدوا في أرضهم وأصبحوا عمالاً فيها... حيث عمد المستعمر الفرنسي إلى خلق فرصة بسيطة لإهانة الفلاح الجزائري من خلال سجنه، يقول: " **نحن أناس نجيد الكلام. نحن جميعاً نجيد الكلام، حتى بادعدوش، ولكن... يجب أن نكون على حذر**".

ويطلب معمِّر الهادي السماح من الفلاحين وأنَّه لم يقصد قوله: " **قد يتراءى لكم أنِّي سمحت لنفسي بأن أسيء القول فيكم ولكن ليس هذا ما أردت، لا ليس هذا ما أردت، عفوكم**"[2].

لكن الفلاحين رفقة **حميد سراج** قاموا بانقلاب يطالبون تحسين حالهم إلى أفضل وزيادة أجورهم، لكن السلطات الفرنسية اعتبرت ذلك شر وإثم كبير "**ذلك شرٌ كبير**"[3]. فحميد سراج هو من حرَّض الفلاحين على الإضراب والقيام بالتجمُّع وهذا ما جاء على لسان أحدهم: " **لولا أنَّ عدو الله هذا الذي يسمى حميد سراج يجرُّ معه جميع فلاحينا، هذا الأمر الخطير**"[4]. فقد اعتبروا ذلك تمرُّد وتحريض عليهم وأنَّ هذا ليس في مصلحتهم ولو قاموا بزيادتهم اليوم سيوف يتمادون ويعودون كل مرَّة يتجمهرون " **لو كان كل ما يريدونه هو المطالبة بزيادة قليلة في الأجور لكان يمكن أن يكون ذلك حقاً وعدلاً** "[5].

ويقول أيضاً متخوِّفاً :" **يتجمَّعون ويعتصبون، فذلك هو ما يجب أن نفكِّر فيه ملياً** "[6]. فطلباتهم سوف تزيد بعد " **تزداد مطالبهم في المستقبل شططاً**"[7].

وجاء على لسان قره أن اتحاد الفلاحين ليس في مصلحتهم وسوف يدور عليهم بالأمر السوء، كان يعمل نداً لفرنسا، فيقول: " **إنهم يريدون بنا شراً... إنَّهم يريدون وقوع مكروه، وسيقع هذا المكروه أخيراً ولو كان هذا المكروه واقعاً على رؤوسهم وحدهم لهان الأمر، غير أنَّه سيقع على أناس لا شأن لهم بهم، سيقع على رؤوسنا نحن**"[8]. ويقول أيضاً " **إني لأقول لكم أن هذا خطر علينا، خطر كبير، وما أراكم**

[1] مصدر سابق، الحريق ، ص 141.
[2] مصدر نفسه، ص 146.
[3] مصدر نفسه ، ص 147.
[4] مصدر نفسه، ص 147.
[5] مصدر نفسه، ص 147.
[6] مصدر نفسه، ص 147.
[7] مصدر نفسه، ص 146.
[8] مصدر نفسه، ص 148.

مدركين فداحة هذا الخطر، فمتى تستيقظون من نومكم؟ متى تفيقون من اطمئنانكم "[1]. فقره علي أدرك حجم الخطر الكبير الذي سيؤول الوضع إليه وخوفه على نفسه وعلى مصيره يقول: " **إنهم ناقمون على الناس جميعاً... نعم ناقمون على الناس جميعاً "**[2]. ويقول أيضاً: " **إنهم لن يتورعوا عن السرقة فقد كانوا دائماً لصوص ... إنهم سيقتلون، ويرتكبون جرائم سياسية"**[3]. ففي كلامه إصرار وقوة بأن آخرة هذا الإضراب ليس بالأمر الهين ولابد من القضاء عليه قبل التوسّع والانتشار ، وقد أحسَّ أنَّه لابد من سجن أصحاب الرؤوس الصلبة " **ليس هناك سبيل إلى حماية أنفسنا من هؤلاء ألا أن يعتقلوا ... أو أن يعتقل بعضهم...أصحاب الرؤوس الصلبة، الذين يدفعونهم ويقودونهم"**[4] واستئصال الزعيم الأكبر يقول في ذلك: " **المجرم الرئيسي حميد سراج ... هو الذي ألقى في رؤوسهم هذه الأمور"**[5] ويقول أيضاً: " **أناس مثله يجب أن يعتقلوا"**[6] وانتهى الأمر بإلقاء القبض عليه من طرف السلطات الفرنسية وسجنه وتعذيبه.

وقد وصف قره أهل بلاده بالجياع والحمقى والساذجين فلك ليس بالغريب عنه، فقد خاف كثيراً على منصبه واشمئزَّ منهم وممَّا يفعلونه يقول على لسانه: " إنَّهم جميعاً جياع " هم قطيع " خراف"

اجتمع سكان **بني بوبلان الأعلى** واجمعوا أن لا يتركوا أرضهم فهي الإرث الوحيد الذي سيتركه لأولادهم وأحفادهم، وربَّما سيلومونهم على التخلي عليها، يقول في ذلك الشيخ بصوت خافت ولهجة هادئة تفيض بالحزن : **سيأتي وقت يحاسبنا فيه أولادنا حساباً عسيراً، سوف يلعنوننا، لأني أنظر إلى المستقبل فأرى أحفادي غاضبين حانقين يصبون على أجدادهم اللعنات"**[7]. فهو يقول لهم لو أنَّهم تخلوا عن أرضهم فلن يكونوا جديرين بأرضهم وبلادهم ولن يبقى لهم مكان في المستقبل " **ألسنا كالأجانب في بلادنا ؟ ...وكأن الأجانب هم أهل هذه البلاد"**[8]. فقد أخذوا أرضهم ومزارعهم واستولوا على بلادهم حتى أنفسهم وثرواتهم تحكَّموا فيها يقول: " **ملكوا كل شيء، يريدون أن يملكون نحن أيضاً دفعة واحدة، هم الآن بعد أن استولوا على هذه الأراضي أراضينا، يخنقوننا خنقاً"**[9].

---

[1] مصدر سابق، الحريق ، ص 149.

[2] مصدر نفسه، ص 149.

[3] ينظر، المصدر نفسه، ص149.

[4] مصدر نفسه ، ص 149.

[5] مصدر نفسه، ص 149.

[6] مصدر نفسه، ص 149.

[7] مصدر نفسه، ص 151.

[8] مصدر نفسه، ص 151.

[9] مصدر نفسه، ص 151.

انظم حميد سراج إلى الاجتماع الذي يعقد في بني بوبلان فرحب به المزارعون وحيَّوه تحيَّة أدب واحترام " **إننا نحن أبناء القرى نقدر الرجال بعلمهم وعقولهم. فإذا كان من أهل العلم والعقل فأهلاً به وسهلاً، سنظل دائما في حاجة إلى رجال من أمثاله إلى جانبنا**"[1]. حتى سراج أعجب بهم ووسع صدره لهم ، لكنه لاحظ نبرة حزن وأسى على وجه عجوز تعجب منها ، وهذا ما قاله على لسانه بينه وبين نفسه: " **إن به ما بأصائل الخيل من قوة وصلابة على أن مسحة من الحزن كانت تغشي نظرة الرجل العجوز عجب لها حميد سراج** "[2]. يقول بادعدوش: " **ما أشدَّ ما كانت تشعر به هذه الأرض من آلم لو كانت حية قال ذلك وطاف ببصره على الحقول الذاوية المجرورة هنا وهناك**"[3] فبادعدوش يحس أن أرضهم نتألم مثل ما هم يتألمون ويشعرون بها وتشعر بهم فهي تكابد عناء كبير من الألم.

وهاهو حميد يحكي على تلك الأيام التي قضاها في السجن فكان يتذكر الدخان الذي يتصاعد من الحقول والهواء البارد والحاد والنهر الجاري الذي لا يعرف نقطة انطلاقه سوى أنه ينحدر من الجبل. ويتحدث أيضا عن الشمس الحارقة، وعن أغان العصافير وهي تزقزق على الأشجار ...أمل وفرح يعيش فيه لكنه مع مجيء الليل سرعان ما يندثر ويصحا فيجد نفسه في زنزانة فظيعة بجدرانها الرمادية ورائحتها النتنة والرطبة وصيحات السجناء وأناتهم، ووجوه الحراس القاسية التي لا تعرف بشاشة، ولنافذة الصغيرة المثقوبة في أعلى الجدار السميك.[4]

تواصل انتشار الإضراب في جميع القرى، وقرر العمال الزراعيون التوقف عن العمل. وشرع الروائي محمد ديب إلى عرض بعض نماذج البؤس التي يعاني منها الفلاح وأدى بهم إلى القيام بالإضراب الشامل المهدد بالثورة:

- يقول بن رباح: " **منذ خمسة عشر يوماً لم نر قطرة من الزيت في بيتنا، إنني مدين للبقال وليس معي ما أدفعه، إننا نموت شيئا فشيئاً، إننا نطال بحق الحياة لنا ولأطفالنا**".
- ويقول آخر: " **إن طعامنا الشعير، وفراشنا الأرض العارية، ليس عندنا ملابس**".
- وجاء رجل من دوار عشبة يقول: " **عملت دائماً أنا وأولادي وزوجتي، لم يتركنا الجوع في أي يوم، فلو أخذتموني إلى دكان بائع من باعة الطعام لأكلت كل ما عنده، إن أطفالي يموتون جوعاً امضوا في الإضراب إلى النهاية...**"

ويواصل سرد البؤس فيتحدث عن بادعدوش الذي كان يعمل في مزرعة **فيار** وقام بطرده من كوخه:

---

[1] مصدر سابق، الحريق ، ص 181.

[2] مصدر نفسه، ص 181.

[3] مصدر نفسه ، ص 181.

[4] ينظر، مصدر نفسه،ص 222.

– **"رموا بنا إلى الخارج أنا وزوجتي وأولادي وما لنا من أمتعة إنا ابنتي الكبرى ريم ... كانت تعمل خادمة في منزل مسيو فيار لقاء إطعامها فحسب وظلت تعمل مدة ست سنين، ثم مرضت فقام بطردها بعد أن أرهقها بالعمل وماتت بعد قليل... ورفض أن يعهد إليَّ بأي عمل قائلاً أنني هرمت".**[1]

قام المستوطنين بإغراء الفلاحين وتقديم لهم امتيازات لكن محاولتهم باءت بالفشل، فقد رفضوا ما قدم لهم وواصلوا إضرابهم، فقامت الشرطة باستجوابهم لمعرفة المحرض على الإضراب؟ فكانوا يجيبون جواب واحد بقولهم:" **المسؤول عن الإضراب؟ هو البؤس الذي نحن فيه"**[2].

وذات ليلة شبَّ حريق، لقد أضرمت النار في أكواخ الفلاحين الذين يعملون في المزارع الفرنسية انتقاماً منهم ليرضخوا للمستعمر ويتنازلون عن الإضراب " **لقد شبَّ حريق ولن ينطفئ هذا الحريق في يوم من الأيام، سيظل هذا الحريق يزحف في عماية. خفياً مستتراً، ولن ينقطع لهيبه الدامي إلا بعد أن يغرق البلاد كلها بلآلئه"** [3]. فهذا الحريق لم يكن ردعاً للفلاحين بل بداية لإرهاصات الثورة. وجاء ذلك على لسان سليمان: **"إن هناك في الأعماق، نزوعاً عارماً إلى التَّمرُّد والثورة، نزوعاً طافحاً فائضاً، يتهيَّأ لكي يزعزع النظام بأكمله، ولكي يزعزع دعائمه الفولاذية، ولعل العناصر الفعالة في البلاد قد شرعت منذ الآن في النضال "**[4].

انتهت عطلة الصيف وأنبأ عمر أمَّه بقدومه وعودته إلى المدرسة وطلب منها أن تشتري له ملابس وكتب جديدة فأجابته صاحية عليه:" **دعنا أخيراً من هذه المدرسة لقد ضقت بها ذرعاً ، أتراك تأمل أن تصبح وزيراً"**[5].

عاد عمر إلى دار السبيطار وعادت المشاكل التي لا تنتهي ومشكل الجوع وتدني مستوى المعيشة وغلاء الأسعار أرَّق نفوسهم وأنهك جيوبهم، إضافة إلى قلة العمل" **لم يبق عمل في المدينة، نعم، لم يبق في المدينة عمل"**[6]. فقررت عيني القيام برحلة نحو مراكش لجلب بعض القماش وبيعها لكنها تصطدم بواقع الحرب هناك وصعوبة المرور دون ترخيص من السلطات، وهذا ما صعب عملها. وبعد عناء وجهد كبير لمحاولتها السفر لكن كل ذلك باء بالفشل وأصبحت تعاني من توفير لقمة الخبز وثانياً من تردد النساء على دار السبيطار بحثاً عن **عيني** التي قد أسلفتاها أموالاً لتشتري لهن أشياء من مراكش، فقالت لها إحداهن صاحية

[1] ينظر، مصدر سابق، الحريق ، ص224، 225.
[2] مصدر نفسه ، ص 226.
[3] مصدر نفسه، ص 227. 228.
[4] مصدر نفسه، ص 229.
[5] مصدر نفسه، ص 241.
[6] مصدر نفسه، ص 242.

تقول بصوت كالبوق :" **أختي عيني، لعن الله الشيطان، لعن الله الشيطان. متى نحصل أخيراً على أثوابنا؟ لقد جئنا اثنتي عشرة مرة، فهل نحصل عليها آخر الأمر؟**"[1].

وهكذا ظلت عيني تعاني من دين النساء، وعن البحث على عمل توفر به لقمة العيش لأولادها.

ثالثا–رواية النول:

تعد رواية النول لمحمد ديب الجزء الثالث من الثلاثية، حيث أصبح فيها عُمَر شاب يافع، وتتواصل الأحداث في معمل النسيج، ويزداد كرههم للظلم والقهر من طرف المعمرين، فبرزت فيها بعض المظاهر أهمها:

1–التعليم: عمدت فرنسا إلى تقتير التعليم في الجزائر، حيث جعلت اللغة العربية لغة ثانوية عكس الفرنسي فقد رقتها إلى مرتبة أولى **وجعلتها** رسمية، "**فقد بلغ عدد المتمدرسين في الجزائر عام 1839 م قرابة 1324 فرداً فحاز الأوروبيون على 1009 مقعداً دراسياً من الجنسين، واليهود 220 من الجنسين، أما بقية المقاعد والتي قدرت ب 95 فكانت من نَّصيب الجزائريين**".[2]

ونجد في مضمون الرواية أم عمر – **عيني** – أنها لم تكُف على لوم ابنها على الخروج من المدرسة والتخلي عنها حتى تركها فقد قالت له منذ أكثر من سنة:" **تعلم مهنة من المهنة، فلن تجديك كتبك نفعاً**"[3]. هنا أمه ألحَّت عليه كثيراً ترك المدرسة والبحث عن عمل، وقد لبَّى عمر كلام أمه وأخذ برأيها "**ولم تدس قدماه المدرسة منذ ذلك الحين**"[4] حتى أصبح عمره ثلاثة عشر سنة ولم يجد عمل بالرغم من أنَّه تحرَّر من الدراسة ولم يعد ملزم بها. لكنَّ حظَّه العاثر جعله يقضي سنة كاملة في الشارع دون عمل يعيل به عائلته، حتى أن أمَّه قالت " **لقد صبرت كثيراً** " [5]، ولكن بعد كل هذا الصبر والتعب والجهد تحصل عمر على عمل في معمل النسيج عند **ماحي بوعنان** وبعد حصوله على العمل دخلت السيدة عيني في أزمة نفسية عصبية خاصة بعد إلحاحها بترك ابنها المدرسة. حتى أنها قالت له ناسيةً أنها هي التي قادته إلى ماحي بوعنان :" **لو بقيت في المدرسة لأمكن أن تحصل في المستقبل على عمل في مكتب... ولو كناساً. أما ألآن فما عسي أن تصبح؟ حائكاً؟ لسوف تعمل في النهار والليل دون أن تجني كسرة الخبز، هل تسمع؟ لن يجني كسرة الخبز**"[6]. هاته الكلمات توحي شدة الأزمة التي تمُرُّ فيها عيني والشعب الجزائري عامة إبَّان الثورة التحريرية.

---

[1] مصدر سابق، الحريق ، ص 250.

[2] عميراوي احميدة، من تاريخ الجزائر الحديث،دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص138.

[3] مصدر سابق،النول، ص278.

[3] مصدر نفسه، ص 278.

[5] مصدر نفسه، ص 278.

[6] مصدر نفسه، ص 296.

فهم متخوِّفون من شيئين أوَّلهما البحث عن لقمة العيش وعن سبل تحصيلها، وثانياً الخوف من الغد بسب ضعف المستوى الدراسي خاصة للشباب أمثال عمر الطفل الوحيد الذي كان همُّه العمل وتوفير لقمة العيش بعد ضعف التحصيل العلمي في الجزائر عامة أثناء الاحتلال، فنجد أيضاً " **حامي** " الملقب " **بزبيش** " الذي لقبه الكاتب ب " **عفريت صغير مشوه** "[1]، وكان يعمل رئيس الصبية، حيث قال لعمر :" **واعلم أنني هنا رئيس الصبية فعليك أن تفعل كل ما آمرك به** "[2].

ونجد أيضاً "**حمدوش** " الذي تعلم حرفة النسيج منذ الصغر حيث يقول بصوت بارز النبرة: " **لقد نشأت وترعرعت في حرفة النسيج هذه. بدأت العمل فيها ولم أتجاوز الخامسة من عمري**"[3]. فكان في كلامه حزن وحسرة بسبب الظروف القاسية التي عاشها خاصة في قوله :" **كان أبي هو صاحب المنسج فلمَّا بلغت الخامسة عشر أخذت مكاني إلى جانبه على النول**" [4].

هاتين الشخصيتين جزء لا يتجزأ من أطفال الجزائر أيام الثورة وما عانونه من سياسة التجهيل التي وضعتها فرنسا على أبناء الجزائر.

2– الدين: لم يختلف الدين عن التعليم في الجزائر فقد كان شبيهاً به، فالشعب الجزائري يجهل كل مفاهيم الشريعة الإسلامية إلا بعض المثقفين القليلين. فقد عمدت فرنسا إلى نشر المسيحية وطمس الإسلام وكللا ما يتعلق به، فاستولت على المساجد وحولتها إلى مزارع لزرع الكروم وإنتاج النبيذ المحرَّم دينياً في الجزائر.

وقد تأثَّر بعض الشعب الجزائري بالفرنسيين المسيحيين إلى استهلاك الخمور واحتسائها متناسين عقائدهم ودينهم، ونلتمس ذلك في قول **شول** يتكلَّم مع **زبيش** لاحتساء الخمر ليلاً فيقول بصوته الفظ:

هيه ... زبيش..

فأجابه الصبي المغلوب على أمره:

ماذا؟

هل نسكر الليلة؟

آه أتمنى لو امتلئ بالخمر امتلاء... امتلاء...

ثم صاح شول مصطنعاً نبرات السكر:

آه ... هات ... املأ الكأس ...

[1] مصدر سابق، النول، ص278.

[2] مصدر نفسه، ص278 .

[3] مصدر نفسه، ص 291.

[4] مصدر نفسه، ص291 .

هاته العبارات تدل على أن فرنسا وصلت إلى مبتغاها من خلال نشر الثقافة الغربية الفرنسية وهدم العقيدة العربية الإسلامية وبجعل الشعب الجزائري شعباً مدمناً على شرب الخمور بعدما كانت محرمة دينياً وليس لها أي علاقة بالعادات والتقاليد.

ونجد في مكان آخر صاحب **المصنع ماحي بوعنان** من مدمني الخمر فهو يشربه ليلا ونهاراً دون خجل، ويؤكد ذلك وقت وصول عمر إلى المصنع فيقول: **"رأى ماحي بوعنان يحرس باب المصنع... فلمَّا صار أمامه سمع أنفاسه التي تخرج من صدره في عناء، كان المعلم يتنفس تنفساً ثقيلاً.**

ثم قال بتذمُّرٍ: ها أنت ذا... الآن تصل؟.

وتنحنح يكشط حلقه المتسخ، ففاحت في زفيره رائحة الخمر.

وظلَّ يهز كرشه الضخم بيديه في غير حياء.

وأخذ الصبي يفقد هدوءه شيئاً فشيء. إنه يشعر بالخجل والعار أمام هذا الرَّجل السَّكران".[1]

فهاته العبارات توحي أنَّه إذا كان المعلم يحمل طباع سيِّئة كالسكر وشرب الخمور في وضح النهار القهار فكيف هو حال العمال؟.

ونجد أيضاً أن العمَّال قد تأثَّروا ببعضهم من خلال شرب الخمر وهذا ماتداوله بعضهم فيما بينهم، حيث يقول أحدهم :**" في الليلة الماضية سكروا سكرة كبرى. وفي الليلة التي قبلها أيضاً وانتهت السكرتان كلتاهما بالضرب. واستمَّر الضرب في هذه الليلة أيضاً... ثلاث ليال متتالية ".**[2]

ونجد مصطفى زرَّاق قد دخل السِّجن بسبب سكره، وذات يوم يروي للعمال ما قاله له المفتش **نفناف** وهو يخرجه من السجن ذات مرة:**" ألا تستحي أن تقضي حياتك كلها في السكر؟ يجب أن تعود إلى رشدك".**[3]

المفتش يلوم ويذم زرَّاق على كثرة سكره وعلى المشاكل التي يوقعه فيها. مجيبه أن الأوضاع المعيشية السائدة في المجتمع هي من تدفعه للسكر لنسيان همومه ، فيقول في ذلك:

"لقد ظللت طوال حياتي أعمل فرأيتني بعد ذلك العمل واقفا حيث أنا لا أتقدم إلى الأمام خطوة واحد. لذلك قرَّرت ألا أعمل إلا من أجل كسب ما أدفعه ثمن الخمر".[4]

3- الفقر والتسول :

[1] مصدر سابق، النول، ص 358.

[2] مصدر نفسه،ص 390.

[3] مصدر نفسه، ص 335.

[4] مصدر نفسه، ص 335.

هو ظاهرة اجتماعية يحتاج فيها الفرد إلى الأسس الضرورية للتمتع بأدنى شروط الحياة و هو في الغالب نتاج الحروب أو الاستعمار، و هذا ما نحن في صددِ دراسته في **رواية النول** حيث خرَّب المستعمر الأراضي و استحوذ عليها بحيث يصبح صاحب الأرض خادم فيها و المعمر سيدها، مما أدى إلى نزوح العديد من المواطنين نحو المدن تاركين ورائهم كل ما كانوا يمتلكون خوفا من الجوع القاهر للإنسانية، وهذا ما أطلق عليه **بالهجرة نحو المدن**. ولم يكن أهل المدينة أقل منهم فقرا وجوعا ومعاناتهم تزداد يوما بعد يوم خاصة مع برد الشتاء القارص و السماء القاتمة و الأمطار المنهمرة التي لم تحبس من السيلان دقيقة واحدة، فأجسامهم أتعبها كل هذا، فالفرق بينهم وبين النازحين أنهم يملكون بيوتا تأويهم إلا إنهم كانوا يترصدون لساعات طويلة وصول إعانات الفحم **خمس كيلوات** التي تأتيهم مرة في الأسبوع، ومن بين هؤلاء نجد **السيدة عيني** التي كانت تنتظر من منتصف الليل إلى غاية الحادية عشر صباحا من أجل استلام كمية الفحم. وحتى ابنها عمر أحس إن أمه ارتاحت قليلا وذلك في قوله :" **أدرك أن جسم أمه قد دفئ قليلا من البرد**".[1] ومع ذلك إحساسه بالراحة لم يكن كاملاً فجدران البيت تزيد كل يوم اهتراء وتشقق والبرد والرياح تدخل من كل فجٍّ عميق.

ويتجلى التسول أيضا في نزوح أصحاب الريف و القرى إلى المدينة ويظهر ذلك في قوله " **ولا يزال الجيش اللجب المتحرك من الجياع يزدحم في الشوارع والأزقة بغير انقطاع لكنه يشق الأرض ويخرج من أعماق مجهولة . غمار من الناس مخجل يتلقى في هواء الطلق عارضاً أعضاؤه المنهوكة وقروحه القائحة وأعينه المحتقنة بالتراخوما** "[2] فالملاحظ أن مظهرهم لم يشهد له مثيل في المدينة من قبل و لا يعرفونه أهلها فاستغربوا منهم وتساءلوا عنهم فكانوا يجيبونهم " حسنة ياإخوان ، صدقة ، **حسنة** "[3] ولا تزال شوارع المدينة تستقبل هؤلاء المتسولين ممَّا أدى إلى ازدحام المدينة و مما جعل السلطات الفرنسية تتدخل و تشكل لجان لمعرفة المكان الذي يجيؤن منه و أي مدخل يدخلون منه هؤلاء الشحاذون وذلك بزعامة القائد **فيشي** و أعضاء اللجنة الخاصة وعند استجوابهم على أوراقهم تبين إنهم لا يحملون أي وثائق تثبت هويتهم .

وكانوا يقولون جواب واحد لم ينفع السلطات الفرنسية ولم يغني لها من جوع إنهم " **غير مستعدين لان يروا مرة أخرى الجحيم الذي غادروه سنموت هنا** " [4] وجوابهم استفز عضو اللجنة وأمر بإرجاعهم و تنظيف المدينة من هؤلاء الحشرات .

---

[1] بتصرف، مصدر سابق، النول، ص 294.

[2] مصدر نفسه، ص 282.

[3] مصدر نفسه، ص284.

[4] مصدر نفسه، ص 322.

فأجابهم أحد المتظاهرين " **هؤلاء ليسوا حشرات ، إن الحشرات التي انقضت على بلادنا هي التي صيرت إخوتنا إلى هذه الحال** "[1] فسياسة المستعمر هي من أجبرت الفلاحين التخلي على مزارعهم و أراضيهم والهجرة إلى مكان ليس لهم به مأوى يأويهم و الجلوس على الطرقات كالغرباء في وطنهم ، وجاءت السلطات بعدد من سيارات النقل لتحويلهم و استردت الشوارع قليلاً وجهها الجميل . لكنهم تركوا مكانهم في نفوس أهل تلمسان حتى الروائي تساءل عنهم " **أي أين ذهبت سيارات النقل التي شحنوها بهم ؟ ماذا صنعوا بهؤلاء الرجال والنساء و الأطفال ؟ آه .... كم تبدوا الشوارع أنيقة** " [2] فبترحيلهم تتنفس المدينة قليلاً لكنهم سرعان ما يعودون للمدينة مرة أخرى بعدد كبير لم يتوقعه أحد لكنهم لم يعودوا يتساءلون عن مكان مجيئهم فقد أحسوا أنهم أصبحوا جزء منهم فتقول **عيني** فيهم " **هؤلاء إخوتنا دما ، وضيوف أرسلهم الله إلينا فأهلا بهم وسهلا و لسوف نستقبلهم ولو لم يكن بيننا ما نقدمه ما نقدمه أليهم غير الماء وسيفهمون أن بنا من الفقر و العوز مثل الذي بهم تقريبا ، لا يزال في هذا العالم رحمة لن يقال إننا طردنا إخوتنا لأننا نملك مأوى و لا يملكون** " [3] فقد تضامن معهم الشعب الجزائري وهذا ليس غريب عنهم فذلك من شيمهم الجود والكرم .

عرف الشعب الجزائري حالة من الضَّياع و التشتت وهذا ما برز في قصة المتسول الذي هرب من الشرطة نحو ورشة النسيج وبدأ يروي قصته دون أن يطلب منه ذلك " **اسمي محمد عود الشيخ أنا مزارع من بلدة بني بوبلان قال ذلك وهو يشير بيده إلى جهة الغرب. لم يبقى لي شيء فقدت كل شيء ، كل شيء ، أرضي ، امرأتي ، أولادي ..... أحالني رجال القانون بهيمة ضالة**" [4] . و بالرغم مما فعلته فرنسا في الشعب الجزائري من تجويع و تشريد وقهر إلا إنه لم يستسلم ولم يرضخ للمستعمر ، لكنها جعلته يحكي قصصه و آلامه لأي من كان و في أي وقت شاء وهناك مثل يقول في ذلك " **الجوع الذي يمنع النوم هو نفسه الذي يجبرك على التفكير** " فهذا المثال طبقه الشعب الجزائري و وصل به إلى تفجير ثورة التحرير المباركة ونيل الحرية و الاستقلال .

4-المرأة : أبرز محمد ديب صورة المرأة في روايته النول بالأم و الزوجة و البنت والأخت و الصديقة .... فهي مصدر أساسي في بناءه تتحدي كل المشاكل و الصعاب و الظروف القاسية التي تواجهها، والخروج للعمل من أجل فقط كرامة أبناءها وسد جوعهم و حاجياهم ومن أمثلة ذلك نجد :

أ- الأم الأرملة عيني : هي شخصية رئيسية في الرواية ككل أم تعرف الراحة يوما ولم تذقها فقد

[1] مصدر سابق، النول، ص322.
[2] مصدر نفسه، ص 325
[3] مصدر نفسه، ص 327
[4] مصدر نفسه، ص 327

واجهت كل الظروف من أجل أبنائها خاصة بعد غياب زوجها فهي أخذت مكان الأب و الأم في نفس الوقت . فقد كبرت على سنها بسبب الشقاء و التعب حتى أن هناك إحدى النسوة (لالا) قالت فيها " **عيني المرأة الوحيدة يدب إليها الهرم قبل غيرها** " [1] فليس من الغريب إنه من رأى عيني يقول إنها أكبر سنا من (لالا) و العكس صحيح . كما عرفت بالقلق و الاضطراب نتيجة الظروف القاهرة التي تمر بها الأسرة و البلاد ككل . تخاف من الغد وما سيكون مصيرهم وهذا ما أصابها بالتشاؤم و اليأس حتى إن ابنها عمر دائما يتذكرها في شؤمها من الحياة ومن مصائبها ويقول في نفسه " **ما بال أمي التي ترى العالم مشحوناً بنذر السوء ودواعي التطير (إذ تؤول كلمة عارضة، أو حكة في الأذن أو رائحة خفيفة في الجو، على ما يشاء لها إلهامها) ما بال أمي لا تنتبه إلا إلى علائم الشر وما يمثل الكوارث؟**"[2].

كما أنها سريعة الغضب كثيرة الصراخ، وقد حدث هذا مع عمر ابنها عندما عاد إلى البيت وملابسه مبللة بالأمطار ونعاله تطبع رسوماً وحلة على سدة الباب فقانت بسرعة كبيرة رافعة يدها لضربه قائلة:" **ما ابني هذا بابن، بل كلب من كلاب الشوارع**.

ولبثت تصرخ وهو ينظر إليها:

–نعم، كلب من كلاب الشوارع، كلب من كلاب الشوارع"[3]

فلم يكن لعمر حل أو هروب من أمه سوى أن يسمع صراخها وشتمها له حتى تعيأ وتصمت وحدها.

وقد حدث معه ذلك أيضاً من قبل عندما سألته على أختيه فأجابها بأنهما تخرجان من المصنع على الساعة السادسة مساءاً.فقالت له تقلد صوته:" **ستجيئان ... وبصقت على الأرض احتقاراً: تفو ...**، ثم صاحت في الظلام:" **يا محمد في البيت والعمة فاطمة في السوق، هذا ما يجب أن يقال عنك**". وأضافت قائلة له :" **لست تصلح لشيء**"[4].

تميزت عيني أيضاً بالخوف على ابنها عمر الذي وصل لسن الرابعة عشر سنة ولا يزال يظل يجول الشوارع دون عمل لابنها. فبدأت في مدحه في بداية كلامها معه قائلة له:" **أنت المحسن إلينا. أنت رب نعمتنا. جزاك الله عنا خيراً في الدنيا والآخرة**"[5].

ب– البنت مريم وعيوشة: هما أحد بنات السيدة عيني نموذج عن صورة المرأة العاملة الكادحة تعملان في معمل النسيج من الصباح إلى المساء، لم يذكرهما الكاتب إلا في مواضع قليلة منها عند قوله:" فما كادتا

[1] مصدر سابق، النول، ص 294 .
[2] مصدر نفسه، ص 279 .
[3] مصدر نفسه، ص 277 .
[4] مصدر نفسه، ص 295.
[5] مصدر نفسه ، ص 286.

تدخلان الغرفة حتى انفجرتا في ثرثرة لا أول لها ولا أخر، ولا تقطعها إلا صرخات صغيرة، إن كلامهما تريد أن تسبق الأخرى في الكلام، حتى إذا استطاعت إحداهما ذلك.

وتصمد الأولى منهم قليلا حتى تصرخ على أختها قائلة:" **صوتك مسموع في أقصى المدينة. اسكتي... أف...**"[1].

فالبنتان تساهمان في مصروف البيت وتساعدان أمهما في البيت إلا أن ذلك لم يغير من حالهن شيء مع غلاء المعيشة في الجزائر أنذاك وتدني الأجور.

ج– الخادمة آمنة: هي نموذج آخر للمرأة العاملة لاكن ليس في مصنع النسيج وإنما في خدمة البيوت الأغنياء، تعمل في منزل صاحب معمل النسيج ماحي بوعنان، ذكرها الكاتب بوصف صفاتها الخَلقية والخُلقية، فالخَلقية عندما وصفها بأنها: "**المرأة الطويلة ذات الرأس الذي يشبه رأس الماعز**"[2].أما الخُلقية فتتمثل في عدم التدخل في شؤون الغير وعدم نقل أخبار أهل البيت إلى الشارع وتقليل الكلام إلا في الأمر المفيد وتكثيف العمل والجواب بنعم أو لا .

فآمنة حفظت كل ذلك وبدأت تطبقه حتى في حياتها اليومية، ويبرز ذلك عندما جاءت عيني هي وابنها عمر إلى منزل ماحي بوعنان تبحث عن عمل لابنها. استقبلتهما ولم تتكلم معهما إلا بسطحية وببرودة رغم معرفتهما عندما سألتها عن وجوده فأجابتها دون ترحيب أو استقبال:" **إنه هنا**"[3].واصطحبتهم إلى مكتبه.

هكذا كانت حياة آمنة والعديد من النساء الجزائريات سوى إرضاء العائلات الأغنياء إبان الاحتلال الفرنسي محرومين أدنى شروط الحياة الكلام.

د– المطلقة زهور : تسكن دار السبيطار جارت السيدة عيني وصديقة بناتها عويشة ومريم متزوجة لكن الحظ لم يحالفها وعادت إلى منزل أبيها فأصبحت محل اهتمام البنات و الجيران خاصة إنها خاضت تجربة حاسمة في الحياة وتقول: " **فتيات في ظمأ إلى معرفة ما قد كان الزواج بالنسبة إليها أكثر من غيرهن** " .[4]

فكلهم كانوا يريدون سماع قصتها وكيف آل بها الأمر راجعة إلى منزل أهلها فكانت الاجتماعات تقام في منزل إحدى الجارات تحت . لأن أمها لم تكن تحتمل أي كلمة تجاه ابنتها خاصة إنها لم تكن تتدخل في شؤون وزوجها ومشاجرتهما لأنها كانت تعلم أنها قد تحدث في أي عائلة وتقول في ذلك :" **لقد تهجمت ابنتها النائحة خشية أن تعود إليها مطرودة إلى أمد طويل أو ربما مطلقة**" [5] فعودة زهور لم تكن بمحض إرادتها

---

[1] مصدر سابق، النول ، ص 297، 298 .

[2] مصدر نفسه،ص 286.

[3] مصدر نفسه، ص 285.

[4] مصدر نفسه ، ص 298 .

[5] مصدر نفسه ، ص 298.

وإنما بسبب المعاناة التي مرت بها و التي جعلتها تتخذ ذلك القرار لكن أمها هاجمتها عندما سردت عليها قصتها بقولها " **لم ترد المرأة العجوز على قالت حين تضرب إحدانا في ركن تلجأ إلى ركن آخر**".

هـ- زوجة ماحي بوعنان : امرأة بورجوازية باذخة تعيش حياة الرفاهية و الترف لا تعمل شيء بيدها احد حتى أولئك الذين يأتون يقصدون زوجها لمساعدتهم على إيجاد عمل و يظهر ذلك عندما قصدت عيني منزلها لإيجاد عمل لابنها حين رأتهم بدأت في السب و اللعن في ابنها بسبب صراخه تقول : " **يا منحوس ، يا ملعون حمى تأخذك ... ألا تستطيع أن تهدأ لحظة ؟ ..... الله يحرمني منك** [1] .

فالمرأة صرخت على أبنها لتوصل رسالة إلى عيني و ابنها أنها لا تطيق أن يجيئا إلى منزلها " **كان عويلها يسمع في الشارع فأدرك أن غضب المرأة المتسلطة موجه إليها لا إلى الطفل**" [2] فلولا الحاجة إلى العمل و توفير الحاجيات الضرورية لما توسلوا إلى غيرهم .

وما يمكن قوله في الأخير إن المرأة الجزائرية لعبت أدوار مختلفة خاصة في رواية النول فهي صورت أهم المعانات و الشدائد التي مرت المرأة الجزائرية بها أبان الاحتلال وكيف واجهتها وصبرت عليها لأنه في ذلك الوقت كان همهم الوحيد نيل الثورة و نيل الحرية فكانوا عازمون و لا مجال للتراجع فحصد الحرية لا يأتي إلا بالصبر على المصائب

5- صورة العمال : تدور أحداث رواية النول بذهاب السيدة عيني إلى ماحي بوعنان صاحب معمل النسيج و طلبت منه عمل لابنها عمر فقال لها:" **أرسليه إلى مصنعي**" [3] ومن هنا بدأت الأحداث تأخذ مجراها الرئيسي وبداية مشاكل عمر و جميع الحائكين فقد كان صاحب بوعنان يعاملهم معاملة قسوة وزرع الخوف في أنفسهم حتى إنهم كانوا يهابونه كلما رأوه أو سمعوا اسمه فبمجرد دخوله إلى العمل من أجل تفقده أسرعوا يكفون حديثهم و نزاعاتهم التي تدور بينهم " **العمال يدفعون المكاكيك ويخبطون الأمشاط وقد تجهمت وجوههم و صمتوا لا ينبسون بكلمة و الضربات تدوي معاً كأنها عدة مذاق تهوي في آن واحد ... ومن حين ينتصب أحد الحائكين ليجفف وجهه الغارق في العرق** " [4] . رغم إنهم كانوا متفانين في عملهم لا يغادرون مقر عملهم إلا ليلا:" **انقضى آخر النهار دون أن يتبدل شيء ، هبط الليل ومازال العمال يعملون** "[5] . فقد كانوا يعملون من الصباح الباكر إلى آخر الليل دون توقف فخرج عمر باكرا من

[1] مصدر سابق، النول ، ص 286.

[2] بتصرف، مصدر نفسه، ص 286 .

[3] مصدر نفسه ،ص 285 .

[4] مصدر نفسه، ص 308 و 309.

[5] مصدر نفسه، ص 293.

منزله يدل على ذلك : " **كان عمر سائر يتقرقف من البرد في هذا الفجر القارس وقد وضع يديه في جيبه** " [1] .

رغم كل ما يفعله العمال و تفانيهم إلا أن بوعنان كان بخيل و لا يمنحهم حقوقهم و أجورهم فهو لا يبالي بهم " **فقد طل صامتا مستندا على الأغطية بعيدا مائة فرسخ عما كان يقوله الأخر** " [2] فصناعة النسيج ازدهرت و توسعت خاصة بعد اندلاع ثورة التحرير المباركة . وقد قال حمدوش لماحي بوعنان " **إذا استمر هكذا الجو فأنت الذي ستجمع الذهب فما من جو يروح أعمال الحائكين كهذا الجو** " [3] مذكره بتسديد ديونهم التي عليه " **سيكون في وسعك أن تدفع لنا المتأخر من حسابنا بعد الآن أليس كذلك ؟ ..... إننا ننتظر منذ أسابيع و ما هو بالمال الكثير**"[4].

حظي ماحي بوعنان بمكانة كبيرة لدى الفرنسيين ومحل اهتمامهم " **أصبح كبار تجار المدينة أصدقاءه و أصبح وجهاء الفرنسيين يحترمونه**"[5]. حتى المفتش **نفناف** صديقاً له ويلبي له رغباته طمعاً في خدمة مصالحه الشخصية "**أصبح مفتش الشرطة رفيقاً من رفاقه. حاول أن تمكر به يضعك في السجن في مثل لمح البصر**"[6].

كان العمال يتبقون إهانات كل يوم من بوعنان وصديقه الشرطي نفناف الفرنسي، فقد قال **لعكاشة** عندما التقى به عند معلمه بوعنان :" **أنتم جميعاً سكيرون ولصوص وما لا يعرفه احد إلا الشيطان**...، **أفضل شيء هو أن يوضع قطيعكم هذا الجربان في السجن**"[7]. فهو يصف الجزائريين بالحيوانات والبهائم وأن ما يفعله معهم ليس إلا طاقة فوق جهده وجميل منه يقول في ذلك :" **إن صديقي– وأشار بإبهامه إلى ماحي بوعنان– إن صديقي هذا الذي تراه، يحتمل منكم مالا يحتمل فهو رجل ذو فضل**" [8] فهو هنا يثني عليه ويشكره.

[1] مصدر سابق، النول ، ص 357.
[2] مصدر نفسه، ص 291.
[3] مصدر نفسه، ص 290 .
[4] مصدر نفسه، ص 290.
[5] مصدر نفسه، ص 361.
[6] مصدر نفسه ،ص 361.
[7] مصدر نفسه، ص 351 .
[8] مصدر نفسه، ص 351.

عارض العمال الظلم والقهر الذي كانوا يتلقونه من عند معلمهم وسوء معاملته القاسية التي اكتسبها تقريباً من عند الفرنسيين، حيث يقول في ذلك مصطفى زرّاق:"**يا له من رجل معلمنا هذا**"[1]. فكانوا لا يطيقونه ولا يحبون مجرد نظرته بسبب تصرفاته يقول في ذلك قوطي الأمين منتقده بقوة: " **يعرف كيف بنفق في الإثم**"[2]. والآن سننتقل إلى دراسة الشخصيات البارزة في الرواية:

أ– صورة الخائن(شول): رجل أمين لصاحب المعمل خائن لبلاده، ينتفض على العمال وجعلهم يخضعون له فهو قد استمد قوته وشجاعته من معلمه بوعنان حيث يقول في ذلك:"**وفي هذه اللحظة صاح شول يأمر إلى العمل يا أولاد**"[3].

وقد كان شول رجل سيء المعاملة مع الحائكين والعمال اكتسب هذه الصفة من معلمه " **أوشك أن يحاذي زبيش انبطح العفريت الصغير على الأرض. إن هذه الحركة تجنب الصبي لطمات اليد العريضة الصلبة.كان شول يتصرَّف تصرُّف من هو صاحب المصنع. أتراه يستمد هذه السلطة من ربِّ العمل؟ لاشك في أنّ الأمر كذلك فقد العمَّال يخضعون لأوامره**"[4].

كان عمر وزملائه يكرهون شول كرهاً شديداً ولا يطيقونه خاصة عندما كان يدافع عن ماحي بوعنان عندما يتكلم فيه أحد العمال بكلام سيء. فقد غضب من كلام الأمين قوطي عندما تكلم عن تبديد بوعنان للمال قائلاً: "**إنه لسيَّل لعابكم أيُّها الصالحون الأتقياء.حاولوا أن تفعلوا مثله**"[5]. ويقولوا في موضع آخر:"**إنَّه يعرف كيف يلهوا أمَّا أنتم فمن ذا الذي يستطيع أن يقول لماذا تعيشون**"[6]. فالسخرية بارزة كل البرز في كلامه ويأمرهم بالعمل من أجل أن يشكره معلِّمه ويثني عليه بالمال الوفير ويبذِّره على الخمر، "**إذا حلَّ الخير أصاب منه الجميع وإنَّما ينبغي للإنسان أن يؤدي عمله في أمانة**"[7].

كان شول ينذُّ بفرنسا والتفكير فها أنها هي خلاصهم الوحيد من الأوضاع الاجتماعية التي يعيشونها. فهي قد نظفت المدينة من المتسولين وقامت بسجنهم ألا تستحق أن نعيش معها بسلام وأمان، ويقول في ذلك: "**اعترف أنهم قد ألفوا أن يعيشوا كما تعيش البهائم والأوروبيون حين طهروا منهم المدينة عدت مرَّات ... غير أن هؤلاء لا يقدر عليهم أحد ... لا يقدر عليهم إلا الذي خلقهم** [8]". وقام أيضاً بشكرهم وردَّ

---

[1] مصدر سابق، النول ، ص 360.

[2] مصدر نفسه، ص 360.

[3] مصدر نفسه، ص 289.

[4] مصدر نفسه، ص 289.

[5] مصدر نفسه، ، ص 360.

[6] مصدر نفسه، ص 360.

[7] مصدر نفسه، ص 361.

[8] مصدر نفسه، ص 330.

الفضل إليهم بقوله بعد تفكير طويل :" **إنَّني أتساءل ما الذي كان يمكن أن نصير إليه لولا أن عصا السلطة الفرنسية تهتَّز فوق رؤوسنا.إني لألقي على نفسي هذا السؤال حقاً... لولا هذه العصا، لأكل بعضنا بعضا مَّا في ذلك ريب**"[1].

ب– صورة المثقف: الملقب "**زبيش**" هو رئيس الصبية ويقدم الأوامر للعمَّال فقد قال لعمر عندما أتى أوَّل مرَّة للمصنع :"**اعلم أنني هنا رئيس الصبية فعليك أن تفعل كلُّ ما آمرك به** "[2]. ثم قال له أيضاً يحذِّره : " **واعلم أنَّ الأمور ستظل تجري على هذا المنوال ما بقيت هنا ... إنَّك لم تر شيئاً بعد انظر قليلاً، وليسلخنَّ جلدك**"[3]. فكان يخيفه ويرهبه من ما ينتظره وكان يذكِّره دائماً قبل مغادرة العمل عمَّا يجب أن يفعله في المساء: "**حاول ألاَّ تنسى في المساء قبل إغلاق الدكَّان أن عليك أن ترتب الأشياء المبعثرة وان تكنس الأرض وأن تحمل الأغطية إلى المستودع بعد ذلك**" [4].

ج– صورة رجل الدين: شخصية تختلف عن الذين سبقوه فقد كان مثقف يتصِّف بالخصال النبيلة خاشعاً في صلاته وحريصاً على أدائها في وقتها " **جعل يصلِّي ساكنا لا يهتزُّ فهو تارة قائم وتارة ساجدا وظلَّ يصلِّي مدَّة طويلة** "[5]. وظلَّ يراقبه عمر من ركن قريب وقال في ذلك :**لقد سبق أن رأى كثير من الناس يصلُّون ، ولكنَّه لم ير في حياته أحد يصلِّي كما يصلِّي قوطي الأمين**"[6].

كان مرشداً ناصحاً متفهِّماً يؤمن بقضاء الله وقدره حيث اعتبر احتلال فرنسا للجزائر جزء بسيط من اختبار الله عزَّ وجلَّ ليختبر قوَّة إيمانهم وصبرهم، كما عارض هروب الجزائريين إلى الخارج من واقعهم فقد قال لهم : " **لقد تجبَّرتم حتى أصبحتم لا تؤمنون بالله وكن كيف يمكن أن يثق المرء بكم بعد الذي سمعه من أقاويلكم وبعد الذي رآه من سلوككم ؟... لست أدري ما هذه الفكرة المجنونة التي تستبد بالنَّاس**"[7].

وقد كان قوطي الأمين زاهداً متعبِّداً لله حتى كلامه يستعمل فيه مصطلحات دينية (مصيركم إلى جهنَّم، زنادقة ملعونون، اللهم ارحم عبادك) وأيضاً من خلال لباسه القميص أو العباءة التي تدل على رمز الإسلام والمسلمين. وكان يرى أنَّ كل النَّاس سواسية عند الله ولا فرق بينهم يقول " **(من تقدَّم إلى الله عارياً كساه)**

[1] مصدر سابق، النول ،ص 330.
[2] مصدر نفسه، ص 287.
[3] مصدر نفسه، ص 287.
[4] مصدر نفسه، ص 288.
[5] مصدر نفسه، ص 305.
[6] مصدر نفسه، ص 305.
[7] مصدر نفسه، ص 365.

ونحن أناس لا نلبس إلا ثياباً مستعارة وكذلك جميع النَّاس ، يستوي في ذلك الظالم والعادل ونحن جميعاً عراة على أبشع صور من العُرَى"[1].

د– صورة الثوري : رجل سياسي ثوري غاضب على المحتل الفرنسي وعمَّا يفعله في الشعب الجزائري من تعسف وظلم وقهر وكبس أدنى حقوق الإنسانية، كان عنيد يخشى على بلاده ويغير عليها "**إنَّ العناد الذي يظهر في عينيه ويغشيها بالضباب لا يشتمل على مرارة بل على حزنٍ. إنَّه لواضح أن قلب هذا الرَّجل يختنق اختناقاً** "[2].

جعل عكاشة عمر صديقاً لَّه فقد كان وفيًّا له ويحبه حتى خارج المعمل ظل يلازمه فقد وجد فيه الخير والصلاح محبٌّ لغيره ولا يهاب أحدٌ يقول: " **الشعب ملكوت الله، الشعب روح العالم ما من أحد علم الشعب، ومع ذلك يحمل الشعب الحقيقة في ضميره، وينشرها بكلتا يديه في سخاء...**"[3]. وكان يقول لحمزة :" **أنحن خائفون منهم**"[4]. كان يحمل ثقة كبيرة يصحبها ألم ومعانات حتى أنَّه أخبر عمر أحد المرَّات أنَّه سيغادر ويتخلَّى عن كل شيء قال على لسانه: " **سيترك هذه المدينة، وسيترك النَّاس كلهم حتى أسرته. نعم سيمضي**"[5]. مردِّداً قول :" **نحن لا قيمة لنا. لا تتعبوا أنفسكم في المناقشة، نحن لا قيمة لنا**"[6]. حتى أنَّ بعض العمَّال كانوا يؤيدونه في رأيه فيقول :" **هكذا خلقنا الله ... ولا حيلة لنا في الأمر**" [7]. فالمستعمر غيَّب الاحترام والتقدير في الجزائر فقد افتقد له الشعب، وجاء على لسان عكاشة " **يجب أن يولي البشر ما يستحقونه من احترام لماذا صار العالم لا يشتهي المرء أن يلقي نظرة عليه... إنَّ الذين يحترمون إخوتهم بني الإنسان لا وجود لهم اليوم على هذه الأرض**"[8] .

اكتسب العمَّال وعي وطني لما يدوروا في الجزائر وبدء البحث عن طرق أخرى لاسترجاع الحرية لأنَّه ما أخذ بالقوَّة لا يستردُّ إلا بالقوَّة وأنَّه لا بد من تغيير الواقع الحالي إلى واقع أفضل :" **إنَّنا لن نحصل على شيء ولن تتبدل أحوالنا ما لم نقلب الأمور عاليها سافلها. يجب أن نغيِّر الوضع الذي نحن فيه**"[9]. ويقول أيضاً

---

[1] مصدر سابق، النول ، ص 366.

[2] مصدر نفسه، ص 301.

[3] مصدر نفسه، ص 362.

[4] مصدر نفسه ، ص 347.

[5] مصدر نفسه، ص 347.

[6] مصدر نفسه، ص 347.

[7] مصدر نفسه، ص 347.

[8] مصدر نفسه،ص 348.

[9] مصدر نفسه، ص 351.

عكاشة على لسان حمدوش :" **إنَّنا نمشي حفاة، وأسمائنا لا تكاد تخفي ما بنا من بؤس ليس في بطوننا ولا رؤوسنا لا فتات وأوضار**"[1].

اكتسب عكاشة وعياً وطنياً استفاق به لما يجري حوله من ظلم، وقد حمل على نفسه مسؤولية ما حدث في بلاده ومع شعبه ويقول في ذلك لعمر:" **أظنُّ أنَّنا مذنبين قليلاً إذا لم نفعل شيئاً من أجل أن نوضِّح للناس ما يجب عليهم أن يعملوا حتى يكفَلوا لأنفسهم حياة أفضل**"[2]. ويقولوا في موضع آخر "**فكأن هذه البلاد لا تتوقع من رجالها شيئاً**"[3]. ولهذا أخذ به التفكير إلى حمل السلاح لكنه يتأسَف على عدم امتلاكه له " **ليس لجميع الناس سلاحا حقيقياً**" [4]لأنه يظن أنه هو الحل الوحيد لتحرير البلاد "**لقد أهين شعبنا كثيراً ...وسيخرج من ذلك أمر رهيب هائل**"[5].

وظلت فكرة السفر إلى الخارج تلازم عكاشة ولم تخطاها فهو يرى فيها ملاذه الأخير للبحث عن الحرية يقول :" **هذا السفر آخر حظ لي فهناك ربما نجد ما لم نجده هنا عاشت الحرية أيُّها السيِّد. ينبغي أن نمضي باحثين عنها في الطرق. الناس هناك يكرمون إخوتهم**"[6].

شخصية عكاشة تعد مثال حي وبسيط على الشعب الجزائري الذي يغير على بلاده ولم يقبل معيشة الذل و الإهانة.

هـ– حمزة المتمرد: شخصية ثائرة متمردة على الفرنسيين وعلى الأوضاع الاجتماعية السائدة من تجويع وجهل وفقر، فقد أفقدهم الاستعمار عزيمتهم في الحياة. وأنهم جزء منها يقول :" **ما نعرفه عن الحياة هو أننا لسنا بشر كسائر البشر**"[7]. فقد شبه نفسه وأصحابه بالكهف المظلم يقول: " **إن نفوسنا كهذا الكهف الذي نعيش فيه. الناس في أعلى أحرار ونحن هنا عبيد**"[8]. فحياتهم أصبحوا يعيشونها في دائرة مغلقة منزوية لم تعد تنتمي للعالم لهذا فضلوا التحرر وكسر القيود وتبديل أحوالهم إلى أفضل، يقول: " **لقد وصلنا إلى الدرك الأسفل، فلن تجدينا الطرق العادية من أجل أن نقلِّب العالم رأساً على عقب، وربما كان علينا أن نوزعه...**"[9]. فها هو يدعوهم إلى الثورة ضد المستعمر المستبد والظالم لاسترجاع سيادتهم الوطنية

---

[1] مصدر سابق، النول ، ص 354 و 355.

[2] مصدر نفسه،ص 356.

[3] مصدر نفسه،س ص 356.

[4] بتصرف، مصدر نفسه ، ص 357.

[5] مصدر نفسه، ص 397.

[6] مصدر نفسه، ص 362 .

[7] مصدر نفسه، ص 311.

[8] مصدر نفسه، ص 311.

[9] مصدر نفسه، ص 311 .

وحقوقهم، وذلك بكسر القيود وتخطيها للفوز بها ، وهذا ما برز فيقوله: " **علينا أن نبدل العالم والإنسان ... نعم ... ولكن لابد أولاً من هدم كل شيء**"[1].

فحمزة أقرَّ جاهداً على تفجير الثورة وبث الوعي بين العمال بقول بصوت مرتفع: " **يا جزائر، يا جزائر. أين رجالك؟ من ذا الذي سيوقظهم من سباتهم؟ لقد اشتدت كروب الشعب، لقد اتسعت كروب الشعب** "[2].فهو هنا يحاول استنهاض همم الشعب وتوحيدهم على كلمة "**الحرية والاستقلال**".

و- حمدوش (الشاب الأحمر): هو شخصية أخرى متمردة على فرنسا، عرف بكثرة شجاره مع عمر إلى غاية أن أصبح صديقه الحميم. كره حمدوش المستعمر الدخيل" **كان يبدو عليه أن نفسه تنوء بحمل ثقيل لا يرى**"[3]. وسياسته الوحشية التي جعلت نصف الشعب استسلم لليأس من الحياة، وهذا ما برز برز في قوله مع **باصقالي**:" **لم يبق لأجلنا إلا القليل نحن على وشك أن نثُّبَ الوثبة الكبرى ما أكثر الأيام السود لقد حرمنا من كل شيء، قطرا من فرح، وبحر من مرارة**"[4] فكثيراً ما كان يفكر في الهجرة لكنَّه سرعان ما يغيِّر رأيه فيقول :" **ليتني أمضي أتباع مصيري في غير هذا المكان يجب علي أن أذهب ... يا لسوء طالعي**"[5]. فهو متأمل كثيراً بالقضاء على التميز العنصري الذي زرعته فرنسا بين الشعب الجزائري وشعبها، فيقول: " **يجب تبسيط الأمور، ينبغي لجميع الفروق بين البشر أن تزول، والذين يعارضون هذا يجب سحقهم، نعم، لا فروق**"[6]. فبسبب ما فعله الاستعمار جعل الجزائريون إنهاء البؤس والظلم حُلم حُلم لابد من تحقيقه وهذا ما قاله حمدوش :" **يجب أن ننهي هذا الطراز من الحياة التي عشناها إلى الآن**"[7]. فهو يرفض الذل والإهانة التي يتعرضون لها:" **الذل، العبودية، الخوف، كل ذلك قد أفسدنا حتى النخاع فأصبحنا لا نشبه البشر**"[8]. فكان دائماً يسعى إلى إيقاظ الروح النائمة للشعب.

فشعوره بالمسؤولية دفع به هو وعمر إلى القيام بتفجير مسلح ضد المستعمر :" **إنَّ حمدوش يريد أن يعدَّ العدَّة للقيام باغتيالات، ويقتضيني بل ويأمرني أن أشارك في ذلك**"[9]. غيرت الشاب الأحمر على وطنه جعلته يقدم مخاطرة كبيرة في حياته رغم صغر سنه في وجه العدو الفرنسي.

---

[1] مصدر سابق،النول ، ص 312.

[2] مصدر نفسه، ص 336 .

[3] مصدر نفسه ، ص 350.

[4] مصدر نفسه، ص 302، 303.

[5] مصدر نفسه، ص 353.

[6] مصدر نفسه، ص 373.

[7] مصدر نفسه، ص 376.

[8] مصدر نفسه، ص 384.

[9] مصدر نفسه، ص 385.

الخاتمة:

وها نحن في الأخير نحصد ثمار ما جنيناه في متن هدا البحث المتواضع، متمثلة في نقاط مجملة كالآتي:

- احتضن النص الروائي الجزائري المكتوب بالفرنسية الواقع المعيش في تلك الفترة، فنجد جل الأدباء الجزائريين فاضت قرائحهم في التعبير عن المجتمع الجزائري لما يعانيه من معاناة وظروف قاهرة وصعبة.
- صوَّرت ثلاثية محمد ديب ملامح المجتمع الجزائري وأغلب المشاكل الاجتماعية والظروف القاسية التي مرُّوا بها.
- استطاع محمد ديب من خلال استخدامه للحرف اللاتيني إيصال معاناة الشعب الجزائري وترجمتها ووصولها للعالمية.
- وفق الكاتب في روايته الدار الكبيرة إلى حدً بعيد أن ينقل لنا أهم مظهر اجتماعي عانى منه الشعب الجزائري، ألا وهو ظاهرة الجوع.
- جسدت رواية الحريق الصراع الإيديولوجي القائم بين الفلاح والمعمر.
- عدَّت رواية النول أحسن رواية جسدت الواقعية الاشتراكية في الجزائر.
- عدَّت ثلاثية محمد ديب رواية ممهدة للبوادر الأولى للثورة.
- لقد وفِّق الروائي محمد ديب في تجسيد صورة الجزائر الحية في روايته الدار الكبيرة الحريق والنُّول ونقل الواقع المعاش وجل المظاهر الاجتماعية.

وما توصَّلنا إليه في هذا الموضوع من نتائج ربما يكون بداية نقاش أوسع وبحث جديد ونتائج أكثر أهمية.

قائمة المصادر

والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس 1988.
2. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر احمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، الجزء الثاني، ط1 (1383هـ – 1963).
3. ابن منظور، لسان العرب، تاج المستقبل للنشر الإلكتروني، بيروت لبنان، 1995.
4. أحداث 5 أكتوبر 1988 ويكيبيديا ar.m.wikipedia.org.
5. أحمد منور، ملامح أدبية، دراسات في الرواية الجزائرية، دار الساحل للنشر وتوزيع الكتاب.
6. أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه.
7. إدريس بودية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، الجزائر، 2007.
8. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، الجزء السادس، ط1، القاهرة 1965م، ط2 1979م، ط3 1984م.
9. أمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 2015.
10. أمين الزاوي، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ص320، نقلاً عن حبيب فاطمة الزهراء، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، مذكرة ماجستير، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة معهد الترجمة، 2016/2015.
11. بطرس خلاق، نشأة الرواية العربية بين النقد والإيديولوجية الرواية العربية، واقع و آفاق، أعمال ملتقى الرواية العربية الحديثة بالمغرب، دار ابن رشد كالطباعة والنشر، بيروت، ط الأولى 1981.
12. ثلاثية محمد ديب، الدار الكبيرة، الحريق، النول، ترجمة سامي الدروبي، دار الوحدة، 1985.
13. جبور أم الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية، دار ميم للنشر، ط الأولى.
14. حبيب فاطمة الزهراء، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، رواية بماذا تحلم الذئاب لياسمينة خضراء، دراسة تطبيقية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر.
15. خليل رزق، تحولات الحبكة مقدمة لدراسة الرواية العربية، ص 7، نقلا عن سليمة توني، البنية السردية في الرواية الجزائرية، مذكرة ماستر، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2014، 2015.
16. زهرة ديك، من روائع الأدب الجزائري، مقتطفات من نصوص أبرز الأدباء الجزائريين، دار الهدى، الجزائر.
17. صالح مفقودة ، نشأة الرواية العربية في الجزائر ، التأسيس و التأصيل ، مجلة "أبحاث في اللغة و الأدب العربي ".
18. صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الأدب العربي.
19. عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، ط3، 2005.
20. عبد المحسن طه، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، دار المعارف، مصر، ط4 ، 1870 – 1930.

21. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية_بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، ديسمبر1998.
22. عزيزة مريدن، القصة والرواية، ص 20، نقلاً عن نسيمة بلعيدي وكريمة بلخن، شعرية اللغة في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي، مذكرة ماستر، جامعة منتوري قسنطينة، 2011.
23. عقون خاتمة و ذيب عمرية، محنة الكتابة التسعينية دراسة فنية للرواية الجزائرية التسعينية، رواية الغيث ل: محمد ساري مذكرة ليسانس، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة، كلية الآداب واللغات والفنون 2018/2017.
24. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخيا وأنواعا وقضيا وإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، (د.ط)، 1995.
25. عمر بن قينة، الأدب الجزائري الحديث، شركة دار الأمة، ط1، الجزائر،1994.
26. عميراوي احميدة، من تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
27. قوراري سليمان، مباحث في الرواية الجزائرية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016.
28. مجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادي 817هـ، قاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008.
29. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، 2004م، ط4.
30. محمد الباردي، نظرية الرواية، ضحى للنشر والتوزيع، تونس، 2013.
31. محمد شاهين، أفاق الرواية (البيئة والمؤثرات)، من منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2001.
32. محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.
33. محمود قاسم، الأدب العربي باللغة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.

فهرس الموضوعات

شكر .....

أهداء .....

مقدمة: .....أ

مدخل: 3

الفصل الأول:الرواية الجزائرية

مفهوم الرواية: 7

مراحل الرواية الجزائرية المكتوبة باللسان الفرنسي: 12

تحولات الرواية الجزائرية :.....17

الفصل الثاني:المظاهر الاجتماعية

نبذة عن حياة الأديب محمد ديب : 22

منجزه السردي ومسار إبداعه : 23

من ابرز مؤلفاته:.....24

المظاهر الاجتماعية في ثلاثية محمد ديب: 26

أولاً- الدار الكبيرة: 26

ثانياً- رواية الحريق: 29

ثالثا-رواية النول: 34

الخاتمة: 48

قائمة المصادر والمراجع: 49

قائمة المصادر والمراجع: 50